الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة السانيا – وهران
كلية الآداب، اللغات و الفنون
قسم الترجمة

رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الترجمة

الموسومة ب

الترجمة الأدبية في ضوء الأسلوبية الإحصائية

دراسة إحصائية مقارنة لأسلوب سارتر – بين الأصل و الترجمة – – الجدار نموذجا –

إعداد الطالبة
سولوجي فروجي صورية

تحت إشراف
الدكتور شريفي عبد الواحد
الدكتور خليل نصر الدين

السنة الجامعية 2008 - 2009

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

إهداء
كلمة شكر
قائمة المحتويات
مقدمة

الفصل الأول: الترجمة الأدبية بين مطرقة الإبداع و سندان الآلة

I - ماهية الترجمة.....02
1.I.ما الترجمة 02
1.1.I.لغة 02
2.1.I.اصطلاحًا.....03
2.I. الترجمة ونظرياتها.....07
II. الترجمة الأدبية.....09
1.II.ماهية الخطاب الأدبي و خصوصيته.....09
2.II.ماهية الترجمة الأدبية وإستراتيجيتها.....13
3.II.الخطاب الأدبي بين التلقي و الترجمة.....16
4.II.الترجمة الأدبية في ميزان التكافؤ الأسلوبي و التعادل الجمالي.....18
III. الخطاب الأدبي في رحاب الترجمة الآلية.....21
1.III. نشأة الترجمة الآلية ومراحل تطورها.....21
2.III. الترجمة الآلية و علاقتها باللسانيات الحاسوبية.....25
3.III. أنظمة الترجمة الآلية و مناهج اشتغالها.....27
1.3.III. أنظمة الترجمة المباشرة.....29
2.3.III.أنظمة الترجمة باستخدام اللغة الوسيطة.....30
3.3.III.أنظمة الترجمة التحويلية.....31

4.III. المقاربة الإحصائية في الترجمة الآلية.....33

5.III.الترجمة الآلية للأدب: بوتقة التفاعل بين الترجمة الآلية و الأسلوبية الإحصائية.....35
6.III. الرهانات السيبرنيطيقية في مجال الترجمة الأدبية.....38

الفصل الثاني: الأسلوبية الإحصائية -المبادئ و الإجراءات

I.الأسلوبية بوادرهـــا وإرهـــاصاتهـــا.....42
1.I. ماهيـــة الأسلوب.....42
1.1.I.تعريفه 42
2.1.I.أنواعـــه.....44
3.1.I.اتجاهاته وتياراتـــه.....47
2.I.الأسلوبيـــة.....48
1.2.I.مقدمـــة في نشأة الأسلوبية.....48
2.2.I. ماهية الأسلوبية.....49
3.I . الأسلوبيـــة في ميزان النقد الأدبي واللسانيات.....51
1.3.I.الأسلوبية والنقد الأدبي.....51
1.1.3.I.الأسلوبية وعلم البلاغة.....52
2.1.3.I.الشعرية في الدراسات الأسلوبية.....52
3.1.3.Iالمناهج الأسلوبية في تحليل الخطاب الأدبي.....54
1.II. الإحصاء النصي - القران الآلي بين الإحصاء و اللسانيات.....55
1.1.II. ماهية الإحصاء النصي.....55
1.1.1.II.المنهج الإحصائي في الدراسات اللغوية.....59
2.1.1.II .الإحصاء النصي و اللسانيات الكمية.....60
2.1.II. من الإحصاء المعجمي إلى الإحصاء النصي.....62
1.2.1.II. ا الإحصاء المعجمي 62
2.2.1.II. مفاهيم أولية في الإحصاء المعجمي : الورود و التردد.....64

3.1.II. نموذج بيداغوجي (تعليمي) في الإحصاء النصي.....67
4.1.II. أقسام الإحصاء النصي.....71
2.II.ماهية الأسلوبية الإحصائية و وظيفتها.....72
1.2.II. ما الأسلوبية الإحصائية 72
2.2.II. مشروعية القراءة الإحصائية للأسلوب الأدبي.....75
3.2.II.المناهج الإجرائية في الأسلوبية الإحصائية.....79
4.2.II.طرائق المقاربة الإحصائية في وصف الأساليب الأدبية.....79
3.II.الإحصاء الأسلوبي في كنف الإعلام الآلي.....84
1.3.II.المعالجة الآلية للنص.....85
2.3.II.البرمجة الآلية للخصائص الأسلوبية.....86

الفصل الثالث: مقارنة إحصائية للأسلوب السارتري
بين لغة الإنشاء و لغة الترجمة
-الجدار- نموذجا

I. .فلسفة الأدب و أدب الوجود.....89
1.I.الأدب و فلسفة الوجود.....89
1.1.I. ماهية الفلسفة الوجودية.....89
2.1.I. أهم تيمات و مبادئ الفكر الوجودي.....90
3.1.I.أثر الوجودية في الكتابة الأدبية.....90
2.I. سارتر في مغامرة الوجود بين الأدب والعبث.....93
1.2.I. سارتر.....93
2.2.I. سارتر وأدب الالتزام.....97
3.2.I.أبعاد الانطولوجية السارترية.....99
3.I. الجدار.....101
1.3.I.القصة القصيرة في الأدب السارتري.....101

I.1.1.3. القصة القصيرة.....101
I.2.1.3. الواجهـــات الخمـــس للجـــدار عنـــد سارتـــر.....103
I.2.3.حـــــــول الجـــدار- الأقصوصـــــة-.....106

II.مقارنة إحصائية للأسلوب السارتري- بين لغة الإنشاء و لغة الترجمة-.....108
II.1.مقارنة إحصائية لنسبة الأدبية في النصين (الأصلي و الترجمة).....108
II.1.1.التوزيع النسبي للمتغيرات النحوية.....108
II.2.1.قياس كثافة المتغير الأسلوبي.....109
II.1.2.1. قياس كثافة الأفعال.....109
II.2.2.1. قياس كثافة الأسماء.....109
II.3.2.1.قياس النسبة بين متغيرين (معادلة بوزيمان Busmman).....110
II.1.3.2.1.على المستوى النص الفرنسي (Le Mur).....110
II.2.3.2.1. على مستوى النص العربي (الجدار).....110
II.2. عمليات قياسية في ورود و تردد "الأفعال".....111
II.1.2.الجدول التوزيعي للأفعال في النص الفرنسي.....112
II.2.2.الجدول التوزيعي للأفعال في النص العربي.....113
II.3.2.قراءة إحصائية مقارنة.....113
II.3.تطبيقات إحصائية مقارنة.....115
II.1.3.(مج$_0$ ، مج$_0$').....115
II.2.3.(مج$_1$ ، مج$_1$').....116
II.3.3.(مج$_2$ ، مج$_2$').....116
II.4.3.متوسط التردد.....118
II.5.3.مربع الانزياح المعياري.....118
II.6.3.الانزياح المعياري.....119
II.7.3.قياس ضارب التنوع.....120

خـــــــــــــاتمة.....122
بيبليوغرافيا.....125

اهداء

إلى زوجي الحبيب...فضيل

و ابني الغالي..... ياسين

إلى عائلتي و عائلة زوجي

كلمة شكر

كلمة شكر

الحمد لله نشكره و نحمده على انجاز هذا العمل

منتهى الشكر و التقدير لأستاذي شريفي عبد الواحد الذي لم يبخل علينا
لا بالجهد و الوقت و لا بالنصيحة و التوجيه

و منتهى الشكر و التقدير لأستاذي خليل نصر الدين الذي ساعدني
كثيرا في انجاز هذا البحث و تكفله بالمتابعة و التدقيق

الشكر و التقدير إلى كل من علمني الكلم
وجبلني على الحرف

مقدمة

إذا كان الخيال منبع الأدب، فإن العلم أيضا أصله فكرة، و بين الخيال و الفكر راح الإنسان –ولا يزال–يرتقي على سلم الحضارة مكتشفا تارة ذاته، وتارة أخرى عالمه أو عالم غيره الذي سخرت له الترجمة فيه جسورا يعبرها بغاية التواصل أو إشباع الفضول، فما أبدع صنائع الترجمة في هذا و ذاك و يكفيها شرفا أنها ساهمت بقدر غير هين في تلاقح اللغات و تمازج آدابها و أفكارها.

الأدب هو الواجهة الفنية لمختلف الأنسجة البشرية بتقلباتها الظاهرية و الباطنية و بمختلف تشكيلاتها الجمالية و الروحية التي تجسد حدودها في الحياة و حدود الحياة فيها، حدود لا بد للترجمة من احترامها و إعادة إسقاط أبعادها تبعا لقواعد المنطق التناظري موظفة في ذلك جل عتادها و عدتها العلمية و الفنية. و أيا كان التأسيس الموضوعي للمادة الفنية، فلا يمكن لذلك إلا أن يزيدها اتقانا في البناء الإبداعي و تقاربا من حيث المظهر الشكلي و التناسق الضمني، أو ليست الترجمة كذلك البيت الذي يبني أسسه وجدرانه العلم، و يرسم شكله و معماره الذوق الإبداعي؟ الفرق الوحيد هو أن البيت أصل أما الترجمة فهي "صورة" (Portrait) كما يحلو لـــ "شاتوبريون " (Chateaubriand) أن يسميها أو نسخة مزيفة للوحة زيتية جميلة كما يروق لـــ " فولتير" (Voltaire) أن ينعتها :

La traduction est une faible estampe d’un beau tableau

كثيرا ما يسود الخلاف حول ما إذا كانت الترجمة علما أم فنا، غير أن الأهم ليس في تحديد موقع الترجمة بين هذا و ذاك، و إنما في صياغة المناهج و التقنيات العلمية منها و الفنية الكفيلة بالقيام بدرس الترجمة عموما و الترجمة الأدبية على وجه الخصوص، فقد استنفدت هذه الأخيرة –لشدة تعقيدها و صعوبتها– جل الحلول اللسانية و اغترفت من منابع التنظير الأدبي و غيرها من مشارب العلوم النفسية، الإجتماعية و علوم الإتصال كفاية، لتتغير صيغة الجواب على السؤال التقليدي في الطرح الترجمي : ماذا يجب أن نترجم؟ من: النص كله و بكل أمانة إلى: سياق النص، معناه، بيئته، شخصياته بمختلف انتماءاتها السوسيوثقافية، نزعاتها البسيكوفكرية.

لقد بدأت الترجمة و مند عشريات خلت تعرف النور نحو الإستقلالية و النهوض الذاتي من خلال التأسيس النظري الجاد و التفعيل العملي للعلائق العلمية التي تربطها بمختلف العلوم الحديثة.

و بظهور الإعلام الآلي توثقت الصلة بين الدرس الترجمي و اختصاصات علمية دقيقة هي أبعد ما يكون عن اللغويات و الأدبيات أو على الأقل هذا ما قد تبدو عليه للوهلة الأولى، فبالتطبيق و المقاربة المنهجية و الموضوعية تتقلص المسافات لا محالة،
و بالإستثمار العلمي الجاد تتجسد القفزة النوعية و تتحقق خطوة أخرى نحو المستحيل، أو لا يقال أن كل انجاز عظيم يبدأ بفكرة ؟.

فإذا كانت الأسلوبية الإحصائية من أهم المجالات التي تزاوج بين القياس و النقد، التقنية و الأدبية، فما طبيعة الدعم الذي يمكن أن تقدمه لترجمة النصوص الأدبية ؟ كيف يمكنها أن تيسر من عمل المترجم ؟ و ما هي السبل و الآليات التي يفترض بالمترجم تبنيها لتحقيق الغاية المنشودة من تلاقح الإجراءات الإحصائية و الكتابات الأدبية ؟ ثم ما هي طبيعة المتطلبات الأوتوماتيكية و التقنية الكفيلة بتفعيل هذه الممارسة الإحصائية في حقل الترجمة الأدبية ؟ و هل بإمكان هــذه الممارسة أن تشفع للآلة و عجزها الــذريع عن ترجمة النصوص الأدبية، و تعطيها بالتالي دورا أكثر فعالية و أكثر دعما في هــذا المجال؟ و هل باستطاعتها تغيير أوجه المقاربة الأوتوماتيكية للأدب و الترجمة على حد سواء، بمعنى آخر، هل يمكن للترجمة الآلية المدعمة للأدب أن تستفيد علميا من المناهج العلمية للأسلوبية الإحصائية؟.

إن هذه التساؤلات و غيرها هي ما حولنا تسليط الضوء عليه من خلال هــذا البحث المتواضع و الإجابة عنها جعلتنا، لا محالة، نجوب حارات الترجمة المتشعبة بسدادتها العلمية و شاعريتها الأدبية، و نفتح نوافذ متعددة تطل على حقول العلم و المعرفة التكنيكية.

إن الدافع الأساسي الذي جعلنا نختار هذا الموضوع تحديدا هو إيماننا العميق بنجاعة الطرق العلمية و المناهج الإحصائية في دعم المقاربات النقدية للترجمة الأدبية و قدرتها على تزويد هذه الأخيرة بأدوات قياسية من شأنها أن تسد جزءا كبيرا من الهوة التي تفصل بين الأصل و النسخة.

و حرصا منا على تجسيد هذه الرؤية و رسم معالمها الأدبية و العلمية في حقل الممارسة الفعلية للترجمة الأدبية، شدنا الميول إلى مغامرة الوقوف على عتبة الأدبيات و باب الجماليات بحقيبة من الأدوات القياسية و الحسابية دون أن يكون لذلك أدنى ضرر أو مس بشاعرية النص و أدبيته، بل بالعكس تماما، هي كلها أدوات جاءت لتعزز مصداقية النقل الإبداعي و تدعم و سائله و تخفف من فارق الهوة التي قد تفصل بين الأصل و الترجمة، فكان أن اقترن الأسلوب بالإحصاء و الإحصاء بالآلة و الآلة بالترجمة و الترجمة بالأدب، وهو قران مشروع يتمتع بكامل الصلاحيات في ضوء التلاقحات العلمية و التداخلات الميدانية المعاصرة.

يتضمن هذا البحث ثلاثة فصول أساسية، فصلين نظريين و فصل تطبيقي. فأما الشق النظري فقد استعرضنا في الفصل الأول منه بوادر التنافر و التجاذب بين قطبين شبه متضادين في الترجمة، أحدهما يستنطق الذات البشرية و يحملها على التفكير في الجوهر و الإتقان في الخلق، و الثاني يستقرئ البرامج الآلية و يستثني القراءات الدلالية ليركز في الغالب على المعطيات الشكلية. و إن كان ثمة وفرة من الحجج التي تبرر المسافة البعيدة بين الترجمة الأدبية و الترجمة الآلية، فإن هناك من البواعث العلمية و الأدوات الإجرائية الحديثة التي تزاوج بين هذين الاختصاصين بشكل متميز و بطرق مؤسس لها علميا.

و عليه، كانت لنا في هذا الفصل وقفة عند الترجمة الأدبية بخصوصياتها و خصوصية مادتها، ثم وقفة أخرى عند الترجمة الآلية بمختلف آليات عملها و أنظمة اشتغالها قصد استيضاح مختلف المفاهيم الأدبية و الآلية و كذا التأسيس المدعم للرهانات السيبرنيطيقية في المجالات الأدبية كتابة و ترجمة.

اما الفصل الثاني فقد عمدنا فيه إلى الإلمام بمختلف بوادر المبحث الأسلوبي و تجلياته الأدبية و النقدية في الساحة العلمية العربية و الغربية و حاولنا من خلال عرض خصوصياته و قواعده،التنويه بعنصر جد هام في قراءة "النص الفريد" و ترجمته.

فالنص الأدبي هو خلق إبداعي وإبداع فردي و الفردية سمة الأسلوب الذي هو الإنسان و لا بد للمترجم قبل أن يتعامل مع النص–الإبداع أن يدرك و يفهم جيدا طبيعة التركيبة الذاتية التي يتعامل معها و نوعية النسيج الفكري الذي يخاطبه و يصبو السفر به إلى الضفة الأخرى.

إضافة إلى هذا، فإن تركيزنا على عنصر الأسلوبية كان بمثابة التمهيد و التقديم لأهم عنصر من عناصر هذا البحث و المتمثل في الأسلوبية الإحصائية، إذ يعد الإحصاء النصي نقطة هامة في التقاء العلوم اللغوية بالعلوم القياسية و الإحصائية و هي نقطة لم تكن للترجمة عموما و الترجمة الأدبية على وجه الخصوص أن تغفل عنها و عن قيمتها الموضوعية و الأدبية كون هذه الأخيرة تسمح بإرساء قواعد منهج علمي دقيق يضاف إلى الثروة العتيدة للأدوات الإجرائية في الترجمة الأدبية.

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة المسح الشامل لأسس و مبادئ هذا الدرس و كذا الإفاضة في استقصاء الأجوبة للعديد من الإشكاليات، من أهمها: ماذا نحصي؟ كيف نحصي؟ ولماذا نحصي؟ كما قمنا بتسليط الضوء على أهم المناهج الإحصائية التي تؤدي إلى تحسين مردودية الترجمة الأدبية و الحفاظ على المقومات الأسلوبية للصياغة الإبداعية الأصلية دون أن ينقص ذلك من القيمة الفنية و الإبداعية للعمل المترجم.

الحديث عن الأسلوبية الإحصائية يجرنا بالضرورة إلى الحديث عن الآلة و دورها في إنعاش و بعث هذا الدرس و تخليصه من ربقة الإجراءات التقليدية التي من شأنها أن تهدر الوقت و الجهد و تقلص من مساحة المعالجة و المعاينة، فالآلة ليست كما يعتقد البعض، حكرا على الميادين العلمية فحسب، بل يمكنها أن تخدم الأدبيات بشكل كبير

و تساهم بقدر غير هين في صياغة أدوات تفيد في ترجمة هذا النوع من النصوص و نقد ترجماتها أيضا.

أما فيما يخص الشق التطبيقي من هذا البحث و المكون من فصلين، فهو يخص الجانب التطبيقي الذي تم الاشتغال فيه على القصة الفرنسية القصيرة لجون بول سارتر و الموسومة ب"Le Mur " و النسخة العربية لهذه القصة "الجدار" و التي قام بترجمتها هاشم الحسيني.

لقد تم استثمار النصين كنسيج نموذجي لمختلف العمليات الإحصائية سواء في المعاينة أو المقارنة بين الأصل و الترجمة، علما أن التحقيقات الإحصائية، أيا كان نوعها أو مجالها، تنطلق دوما من مجتمع نموذجي أو نسيج تمثيلي ينوب عن الكل، الأمر الذي من شأنه الحد من رقعة الخطأ و الحصر من مواقع المغالطة و الشك.
تأسيسا على هذا المبدأ الإحصائي تصبح القصة القصيرة أحسن نموذج تطبيقي يسمح بالمقاربة الإحصائية الدقيقة لأسلوب كاتب ما.

عظمة الرجل و ذيع سيطه في ساحة الأدب، الفلسفة و السياسة أمر جعلنا، لا محالة، نتصفح بعضا من أوراق سارتر الوجودية و نقف عند بعض من محطات حياته الثرية و المتفجرة بينابيع الفكر و الإبداع، المتمردة على الذات، الوجود و الآخر، من ثمة، كانت لنا وقفة عند سيرته الذاتية و انتاجاته الفكرية لنفتح بعدها نافدة تطل على جنس القصة القصيرة، أحد الأجناس الأدبية التي برع سارتر في كتابتها و أبدع في حبك أحداثها و تصوير شخصياتها بعوالمها الداخلية و الخارجية فكانت بذلك المجموعة القصصية "الجدار" من أروع و أجمل ما جادت به قريحته الأدبية و ذلك بشهادة النقاد و أهل الأدب.

أما المعاينة الإحصائية للنصين (النص الأصلي و النص الترجمة) فقد تجسدت في مختلف المعادلات الحسابية و الطرق القياسية المعتمدة في المنهج الإحصائي الأسلوبي، و ذلك بعد تحويل المعطيات اللغوية إلى معطيات عددية قابلة للإحصاء و المقارنة قصد المعالجة الرقمية البحتة للنصين الفرنسي و العربي.

ورغم الصعوبات الجمة التي واجهتني طيلة فترة البحث بسبب ندرة هذا النوع من الدراسات الإحصائية و غياب مثل هذه المقاربات المنهجية، على المستويين الأدبـــي و الترجمي، إلا أنني سعيت جاهدة لتخطي اكبر قدر ممكن من العقبات و ذلك بفضل النصائح القيمة و الإرشادات النيرة للأستاذ "شريفي عبد الواحد" الذي أتقدم له بجزيل عبارات الشكر و الامتنان و الأستاذ "خليل نصر الدين" الذي ساندني و شجعني على اختيار هدا الموضوع و لم يبخل عليا لا بالوقت و لا بالجهد في سبيل انجاز هذا البحث و متابعة ابسط حيثياته و دقائقه، فشكرا لكم أستاذي ألف شكر. كما لا يفوتني أن أشكر الأستاذ "الأخضر بن عبد الله " على الكتب و المراجع القيمة و النادرة التي استرشدت بها في هذا العمل.

الفصل الأول

الترجمة الأدبية بين مطرقة الإبداع و سندان الآلة

I. ماهية الترجمة

1.I.ما الترجمة ؟

1.1.I.لغة

إن تحديد مفهوم المصطلحات، و تبيان معناها، هي من أولويات البحث العلمي، و الغرض بطبيعة الحال، يتجلى في تمييز الحقائق و تعيين الحدود المعرفية [1]، و مصطلح الترجمة وفق ما ورد في المعجم جاء من :« ترجم اللسان و ترجم عنه غيره ترجمة، فسر كلامه بلسان آخر فهو مترجم و الكتاب نقله من لغة إلى أخر. « **وترجم كلامه على المجهول » التمس الترجمة و الترجمة إبدال لفظة أو عبارة بلفظة أو عبارة تقوم مقامها و ذكر سيرة الشخص وأخلاقه و نسبه و ترجمة الكتاب فاتحته و قطعة منه. التُرجَمَان و التَّرجُمَان المفسر للسان كتابة شفاها جمع تراجمه و تراجمين** »[2] أو كما جاء في لسان العرب لابن منظور:

« التُرجُمَان بالضم و الفتح هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى أخرى و الجمع تراجم»[3] و هو ما يعبر عنه العلماء بالترجمة الحرفية أو اللفظية و هذا ما يعني أن الترجمة هي التي تحل محل الأصل من كل وجه، و توجب الإتيان بجميع ما اشتمل عليه الكلام المترجم، من ثمة فإن مصطلح «ترجمة» في اللغة العربية يعني إما :

1. التواصل بالتفسير والشرح
2. ذكر سيرة الشخص لنسبه وأخلاقه
3. نقل و تحويل البلاغ مكتوباً كان أو مسموعًا إلى لسان مغاير

---

[1] عبد السلام المسدي: أهمية المصطلح، قاموس اللسانيات، مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب تونس ليبيا 1981 صفحة 7.

[2] المعلم بطرس البستاني: «قطر المحيط» قاموس لغوي ميسر مكتبة لبنان ناشرون – بيروت لبنان الطبعة الثانية 1995، البستان صفحة 48.

[3] للمزيد من التفاصيل ينظر : لسان العرب لابن منظور مادة «رجم» القاهرة، دار بولاق.

و نشير إلى أن المعنى الثالث بالتحديد، هو المعنى الذي ينبني على أساس أن الترجمة هي إيصال فكرة أو إبلاغها، أي تحويلها و نقلها إلى لغة مغايرة أو إعطائها صيغة مطابقة لصيغتها الأصلية في اللغة المنقول إليها.[1]

أما عن المصطلحات الأجنبية التي تقابل مصطلح "ترجمة" في اللغة العربية، فهي في أغلبها تنحدر عن الأصل اللاتيني traducere و الذي يعني "التمرير" و يحسب في سياق النقل و العبور، ومنه تم اشتقاق عدة مقابلات كمصطلح tradurre في الإيطالية ، و مصطلح traduction في الفرنسية،مع العلم أن هذه الأخيرة كانت تستخدم في البداية مصطلح translater و الذي لا تزال الإنجليزية توظفه لحّد الساعة [2].

2.1.I.اصطلاحًا

الترجمة اصطلاحًا تعني التفسير أو التعبير بلغة أو بإشارات أو برموز أو بحركات مغايرة. و في كتابه الصادر سنة 1959 و الموسوم بـ « On translation» و الذي تمت ترجمته إلى الفرنسية تحت عنوان : « Aspectes linguistiques de la traduction » أو «جوانب لسانية في الترجمة» يميز « رومان جاكبسون » بين ثلاثة أنواع من الترجمة ؛ النوع الأول هو الترجمة التي تتم ضمن اللغة الواحدة، و تقوم على التعبير بإشارات لغوية معينة تنتمي إلى لغة ما عن إشارات مغايرة تنتمي لنفس اللغة (كالشرح مثلا، أو إعطاء أمثلة ملموسة)، أما النوع الثاني فهو الترجمة من لغة إلى أخرى أي التعبير عن إشارات لغوية تنتمي إلى لغة معينة بإشارات لغوية تنتمي إلى لغة أخرى، هذا، في حين يتمثل النوع الثالث في النقل و التحويل من نظام علاماتي معين إلى نظام آخر أو ترجمة إشارات لغوية بإشارات غير لغوية (كلغة الصم و البكم مثلا)[3] .

---

[1] محمد الديداوي، علم الترجمة بين النظرية و التطبيق، سوسة – تونس دار المعارف للطباعة و النشر 1999، صفحة 15.

[2] Inês-Oski- Depré : Théories et pratiques de la traduction littéraire, Armand Colin, Paris 1999, page 12.

[3] Op.cit 59.60.

كما يمكن لكلمة "ترجمة" اصطلاحا أن تدل على أحد الأنواع التالية[1] :

1. الترجمة بصفتها العملية الفعلية لفك رموز النص في اللغة الأصلية و ترميز النص في لغة المستهدفة.

2. الترجمة بصفتها الناتج النهائي أي النصوص التي تنتج عن عملية فك رموز نص اللغة الأصلية و ترميز اللغة المستهدفة.

لقد تجاوزت الترجمة المفهوم الكلاسيكي الذي يعتبرها نقلاً من لغة إلى أخرى لتتعداه إلى غيره من التعاريف التي تعتبرها تسييقا لمنظومة أدبية معينة في منظومة أدبية مغايرة في الثقافة، الفكر و السلوك. و عليه يمكن القول إن الترجمة هي عملية تحويل إنتاج كلامي في إحدى اللغات إلى إنتاج كلامي في لغة أخرى، أو كما يصفها "كاتفورد" (Catford) هي عملية تبديل نص في لغة بنص في لغة أخرى [2].

وهكذا فإن الترجمة في نهاية الأمر شيء عملي للتعبير عن العلاقة الوطيدة للغات يبعضها البعض (...) إلا أن العلاقة الداخلية المتخيلة للغات هي علاقة تقارب متميز يقوم على أن اللغات ليست غريبة عن بعضها البعض، إنما متجانسة سلفًا مع بعضها فيها يخص ما تريد قوله، بغَض النظر عن جميع الصلات التاريخية"[3] . ورغم هذا التقارب و التجانس المفترض بين اللغات، إلا أن العارف بأصول الترجمة و مبادئها يدرك أتم الإدراك مدى اعتياص فعل الترجمة، ولقد تصدى "هاريس" (Harris) منذ سنة 1956 للفكرة التقليدية القائلة أن اللغة هي حقيبة ألفاظ تنتهل الكلمات منها واحدة واحداة، ليؤكد بالمقابل أنها جداول تترتب فيها أنظمة وأنساق، أي أن كل لغة حالة خاصة يستلزم نقلها إعادة النظر في بنيتها لإيجاد المقابلات الملائمة لها[4]. بالإضافة إلى هذا ،فان "دي سويسر" في نقده لمفهوم المعنى وضح علميًا كيف أن

---

[1] محمد شاهين : نظريات الترجمة و تطبيقاتها – في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية و بالعكس، طنجة 1998 مكتبة دار الثقافة للنشر و التوزيع – عمان الأردن 1998، صفحة 7.

[2] ينظر لأكثر تفاصيل : كاتفورد (ج،س) : نظرية لغوية في الترجمة، ترجمة خليفة العزابي، محي الدين حميدي، معهد الإنماء العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1991.

[3] والتر بنيامين (Walter Benjamin) : المترجم و مهمته – قابلية النصوص للترجمة – مجلة فكر وفن العدد 79، معهد غوته، صفحة 21.

[4] Georges Mounin : Les problèmes théoriques de la traduction, éditions Gallimard, France, 1963, page 8.

الترجمة كلمة بكلمة لم تكن يومًا لتؤدي غرض النقل على الوجه الأكمل، ذلك أن الواجهة المفهوماتية للكلمات تختلف باختلاف اللغات.[1]

هذا يعني أن اللفظة لا تكسب معناها الحقيقي إلا بعد تسييقها في وحدة معنوية ضمن تركيب لغوي يسمح بتفعيلها و تدليلها و تذليلها ترجمةً في حدود مجال النظام العلائقي الذي يربط الدال بمدلوله، ضف إلى ذلك أن اللغات هي الحامل المادي لثقافة الناطقين بها، و عليه فهي تختلف من حيث العادات و التقاليد اللسانية باختلاف الشعوب، ثقافاتهم و تجاربهم البشرية، فالترجمة لا تتوقف عند حدود الكلمات بل تتعداها إلى معرفة الأشياء و المواضيع التي يتحدث عنها النـــص و هذا ما يؤكده "جورج مونان" في قوله :

"Pour traduire، il ne suffit pas de connaître les mots، il faut connaître les choses dont parle le texte à traduire " [2].

و عليه فإن الترجمة لا تنحصر فقط في إحلال وحدات لغوية أو نحوية بين لغتين، فترجمة التعابير الاصطلاحية تثير مسألة علاقة المعني بالترجمة لأن الاصطلاحات تتميز بالتوجه ذي المدلول الثقافي و المعرفي.

ولا يمكن للترجمة أن تكون سليمة و أمينة إلا إذا تمكنت من تحقيق المعادلة على مستوى الجوهر أو المضمون أولاً ثم على مســـتوى الشكل و اللفظ، و من ثمة فهي عمليـــة **معـــقـــدة و متعددة الأبعاد، تطرأ خلالها على النص تغيرات أسلوبية، جمالية، ودلالية، و نصية، تقل أو تكثر. و لهذا وصفت الترجمة بأنها خيانة، أي تنطوي على الابتعاد من النص الأصل** [3]، كما أن الكثير قد ذهب إلى حد اعتبارها عملية مستحيلة، وتكاد تكون الترجمة المجال الوحيد الذي يطرح فيه السؤال حول إمكانية التحقق، و العِّلة تكمن في الاختلاف الموجود بين اللغات على المستوى النحوي، التركيبي و المعجمي، مع أن هذا الاختلاف ليس عائقًا حقيقيًا، فإن كان التواصل ممكنًا بين أفراد الجماعة الواحدة الذين تختلف تجاربهم، فيمكن لهذا الأخير أن يتحقق بين أفراد الجماعات المختلفة بفضل عملية الترجمة. و على رغم من **أن الترجمة محاولة لحل مشكلة غير قابلة للحل، على رأي "فون هو مبولت" و تؤدي عند " شلاير ماخر" إلى الإضرار باللغة و نموها العضوي (...)، فإن ذلك لم يحل دون اعتبارها ذاك الإبحار إلى الشاطئ**

---

[1] المرجع نفسه صفحة 22-24.

[2] Georges Moumin : Linguistique et traduction, Dessart et Mardaga, Bruxelles, 1976, Page 44.

[3] عبده عبّود : الأدب المقارن – مدخل نظري و دراسات تطبيقية– منشورات جامعة البحث – كلية الآداب و العلوم الإنسانية 1997– 1998، صفحة 125

الآخر[1]، و هي بذلك تعد السبيل الوحيد إلى تناقل المعارف و الآداب و تبادل التجارب و الخبرات لتسد جزءًا كبيرًا من الهوة الشاسعة التي تفصل الشعوب و الحضارات في زمن ما فتئت حاجياته الفكرية و العلمية تتزايد يومًا بعد يوم. و يلخص "جون روني لاد ميرال" (**Jean-René Ladmiral**)هذه الفكرة في قوله :

« La traduction apparaît comme une activité humaine universelle, rendue nécessaire à toutes les époques et dans toutes les parties du globe »[2].

و إذا كانت الترجمة جسر تواصل بين الثقافات، فإن فاعليتها لا يمكن أن تتجسد إلا في سياق عملية الأخذ و العطاء التي تحركها بوادر الوعي الفكري : **فالترجمة تثمر عندما ينمو وعي أمة تهيأت لها ظروف اليقظة الفكرية»**[3]، و عليه فلا بد من الانتقاء السليم و الاختيار الحكيم لما يمنح حق السبق و الأسبقية في الترجمة و ذلك من خلال الغربلة المكثفة و المراقبة المستمرة لما يمرر في قنوات الاستيراد الفكري و المعرفي، إذ إن **إجبار الجغرافيا على تلقي تاريخ أجنبي يشبه عملية حقن مريض بدم لا ينتمي إلى فصيلته.**[4]

إن النشاط الترجمي في الأصل ما هو إلا تفاعل و انصهار لمجمل هذه النظريات التي تسهم بشكل أو بآخر في تبرير الخيارات المتعددة التي تصادف المترجم أثناء تعامله مع النصوص عامةً و النص الأدبي خاصةً ، و هي خيارات تفرضها التعددية السيميائية والدلالية للألفاظ و العبارات، و كذا القراءة التأويلية المتضاربة للمواقف السياقية التي تتفرع و تتغير بتغير الثقافات و البيئات الاجتماعية، و من ثمة فهي محطة لا بد من المرور بها ليتضح أثرها في رسم مسار الترجمة الأدبية.

I.2.الترجمة و نظرياتها :

---

[1] سعيد علوش : خطاب الترجمة الأدبية– من الازدواجية إلى المثاقفة، المغرب الحديث 1912 – 1956، سلسلة مطبوعات مدرسة الملك فهد طنجة 1990 (جامعة عبد الملك السعدي)، صفحة 5.

[2] Jean-René Ladmiral, Traduire : Théorèmes pour la traduction, Payot, coll. Petite bibliothèque, Paris, 1979 page11.

[3] إبراهيم زكي خورشيد، الترجمة و مشكلاتها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985، صفحة 26.

[4] عبد الله العشي : الترجمة إلى العربية من منظور حضاري، مجلة، العلوم الاجتماعية و الإنسانية، العدد 02 جامعة باتنة، الجزائر، ديسمبر 1994، صفحة 73.

إن القول بوجود نظرية مستقلة بذاتها في الترجمة هو قول ضعيف إلى حد بعيد، رغم أن وجودها كان سيساهم في التخفيف من أعباء الترجمة و تنظيم طرقها و مبادئها، ويلخص «تشاو» هذه الحالة في قوله : «**إنه لمن المضلل أن نتكلم عن نظريات الترجمة كما لو أن هناك نظرية متطورة بشكل مناسب و أن هناك كيانات تفحصها ممارسو الترجمة بحذر..... »**[1] من هذا المنطلق بالتحديد، تعد الترجمة جوانب تنظيرية، تستقي مبادئها من اختصاصات عديدة، انطلاقا من اللسانيات، وصولا إلى الأدب المقارن، و يشير« جورج مونان » إلى هذا الجانب في قوله :

« Se trouvant à l'intersection de plusieurs sciences، notamment de la linguistique et de la logique، de la psychologie sans doute et de la pédagogie certainement، elle (la traduction) n'était considérée comme objet propre d'investigation par aucun de ces sciences»[2]

كما أن نظرية الترجمة بالنسبة «لكاتفورد» (Catford) تخص فقط نوعًا من العلاقات بين اللغات لذلك تعتبر بالنتيجة فرعا من اللغويات المقارنة، أما «كوميساروف» (Kommisarov) فيرى أن معظم التنظيرات التي تغدي نظرية الترجمة هي في مجملها خيارات تترك للمترجم حرية أخذ القرار، ولكنها لا تخبره كيف يترجم[3] في حين ترى « ليدرار» « Lederer » أن:

«Les théories de la traduction se meuvent encore entre deux pôles pour les uns، on se saurait interpréter car le sens est fuyant et le texte se prête facilement à des interprétations abusives ; seul le respect des signes garantit la fidélité à l'auteur. Pour les autres : le respect des signes la traduction linguistique dégrade l'œuvre originale et ne peut donc être proposée en modèle.

Nous tranchons en faveur de la traduction interprétative car, dans toute traduction linguistique، la dégradation de la langue d'arrivée donne une idée fausse du style de la langue originale، alors qu'il existe des preuves

---

[1] محمد شاهين : «نظريات الترجمة و تطبيقاتها» مكتبة دار الثقافة للنشر و التوزيع – عمان – الأردن ،1998، صفحة 11.

[2] Georges Moumin : Les problèmes théoriques de la traduction, éditions Gallimard, Paris, 1963, page 10.

[3] محمد شاهين : المرجع نفسه صفحة 12-16.

abondantes que، bien pratiquée، la traduction interprétative n'est pas abusive [1] ».

و من ثمة فإنها تُصرّ على ضرورة تبني النظرية التأويلية في الترجمة و الابتعاد عن الترجمة اللسانية التي كثيرا ما تحط من القيمة التعبيرية للنص و تحيد به عن معناه الأصلي. هذا الرأي بالتحديد يجسّد موقف المدرسة العليا للترجمة و المترجمين (ESIT) بباريس، و هو موقف يناهض فكرة أن الترجمـــة مستحيلة لأن كل أو معظم الألفـــاظ لها معان في مختـــلف اللغات، و يشير الديداوي أن «بيترنيومارك» يرى أن هذه النظرية تعتبر الترجمة عملية تفسير و تأويل وإعادة صياغة للأفكار أكثر مما هي تحويل للكلمات، وأن دور اللغة ثانوي، إذ هي مجرد حامل أو ناقل للأفكار.[2] بالإضافة إلى النظرية التأويلية، فإن هناك العديد من النظريات الأخرى التي ما فتئت تساهم بشكل فعال في إثراء حقل الترجمة و النهوض بتطبيقاته العملية، و من أهمها، النظرية اللغوية، النظرية الاجتماعية اللسانية التي اتبعها نايدا، (Nida) إلى جانب النظرية الدلالية عند «أليكسندر ليود سكانوف» (Ljudskanov Alexandre) و التي تعمل على وصف عملية الترجمة وصفًا رياضيا أو علميا، لتكون بذلك من أهم النظريات المستخدمة في الترجمة الآلية.

كل هذه النظريات تعمل بشكل أو بآخر على تيسير عملية الترجمة و استخلاص قواعد عملية، ولكن الأكيد هو أنه لا يمكن التنظير انطلاقا من تجربة الترجمة في حدّ ذاتها و هذا ما يلح عليه «أنطوان برمان» بالاتفاق مع جل المنظرين و التجريبيين حين يقول :

«Théoriciens abstraits et praticiens empiriques coïncident en ceci qu'ils affirment que l'expérience de la traduction n'est pas théorisable…Or cette présupposition est une négation du sens de l'acte de traduire : Celui-ci، par définition، est une activité **seconde** et **réflexive**» **[3].**

من ثمة فإن الترجمة تمرين و ممارسة تتطلب حسن الأداء أكثر من النظريات، و تتطلب الذوق، الفن، الحدس و المهارة أكثر من المنهجية، أي أنها تحتاج إلى مهارة و براعة شخصية لا غنى

---

[1] Lederer Marianne, La traduction aujourd'hui, « Le modèle interprétatif », Hachette Livre, Paris, 1994, P.28.29

[2] محمد ديداوي : علم الترجمة بين النظرية و التطبيق، دار المعارف للطباعة و النشر، سوسة تونس سنة 1999 صفحة 377.

[3] Berman Antoine : L'épreuve de l'Etranger, Gallimard, Paris 1994, page 300-301.

عنها، ثم إن الفن و التقنية لا ينفي أحدهما الآخر: « **فكل فن يحتاج إلى تقنية، ولكن التقنية ليست سوى وسيلة أو مجموعة وسائل منهجية تظل عقيمة إن لم ترفد ها موهبة فطرية لا يمكن نقلها من إنسان إلى آخر و التقنية بحد ذاتها تبقى عميقة دون الموهبة الطبيعية التي تغذيها و تغنيها**»[1]

II. الترجمة الأدبية

II.1.ماهية الخطاب الأدبي و خصوصيته :

قبل الإبحار في أغوار بحر الأدب العويص، و التسلل إلى متاهات الخلق و الإبداع المتشابكة، لابد أن نحط الرحال، بادءً ببدئ، على مرسئ النص ، لنتبين أبعاد إحدى الواجهات الهيكلية التي تجسد معالم الكتابة الأدبية و حدود الخطوط الإبداعية على خريطة الصياغة الجمالية للفكر و التجربة البشرية.

فالنص بات يشكل منطقة من مناطق عمل الفكر، و هذا ما يجعل منه حقلا يتكشف فحصه و الاشتغال فيه عن إمكان للوجود و الفكر معًا (....) و النص لم يعد مجرد علامات تقوم بدور الممثل لا غير، ذلك أن للتمثيل حقيقته و دوره. إنه يحجب ما يمثله ويتلاعب به أو يلعب عليه (....) ولهذا لا ينبغي الوثوق بالكلام ثقة مفرطة. فالخطاب حجاب.[2]

هذا بالتحديد ما يبرر مشروعية القراءة المتعددة، و يضرب عرض الحائط الفكرة القائلة بامبريالية القراءة الأوحادية أو النهائية، لتصبح بذلك الانفتاحية أهم ميزة من ميزات النص الجزل و القوي أو بالأحرى أهم ميزة من ميزات « الواحد المتعدد » ولعل من أبرز الصور التي تحيل إلى هذا الأخير هو النص الأدبي و الذي يجسد فكرة « بول فاليري » وموقفه القائل إنه لا يوجد معنى حقيقي للنص وأن القيمة الحقيقية للنص تمكن في حركتيه، وليس في معناه المسبق أو الثابت، إذْ أن المعنى يتهرب باستمرار و يتجدد مع كل قراءة جديدة للنص.[3] أي أنه ليست للنص مرجعية خارجية تتحكم فيه و تفرض عليه قراءة معنية و معنى واحدا لا يتجاوزه.

---

[1] محمد نبيل النحاس الحمصى : هل يمكن تعليم الترجمة ؟ مجلة الفيصل، العدد 267، « دار الفيصل الثقافية» الرياض، المملكة العربية السعودية ديسمبر 1998/ جانفي 1999 / الصفحة 18.

[2] علي حرب : نقد النص المؤسسة العربية للدراسات و النشر –بيروت لبنان صفحة 8–11.

[3] لأكثر تفاصيل ينظر : أدونيس علي أحمد سعيد : شعرية القراءة ، مجلة آداب، العدد 7 بيروت 1985 صفحة 17.

فأما الأدب فهو، على حد تعبير « ليلي شماع» : « **أكثر الوسائط قدرة على التغلغل في الذات الإنسانية و تصوير حياة البشر في مواقفهم الحياتية اليومية و في تناقضاتهم الاجتماعية و العاطفية و في مخاوفهم و حاجاتهم. هكذا يرسم الأدب صورًا متعددة النواحي و الأبعاد للحقيقـــة و يقدم للقـــارئ نظرة عن التنوع الثقـــافي و الإنسانـــي تشـــع بروح الاستـــطلاع و الاهتمام**».[1]

وإذا كان الأدب و ليد الخيال، وعصارة الفكر، فهو لا محالة، البوتقة التي تنصهر فيها جميع المركبات الفردية للمنشئ، بكل التداعيات البسيكولوجية و الإيديولوجية لنسيجه الشخصي، و هذا ما يذهب إليه «جون بيار ريشار» (Jean-Pierre Richard) في قوله :

« Car la littérature، est-il besoin de le dire، est un monde entièrement imaginaire. C'est le résultat très pur de l'acte par lequel، en transmuant ses objets en pensée، l'écrivain a fait s'évanouir tout ce qui n'est plus celle-ci. Reste donc une pensée ». [2]

فالأدب هو صورة حية عن أسلوب الكاتب و ذاتيته، و الأسلوب كما يصفه «رولان بارت» في كتابه « الدرجة الصفر للكتابة » هو معطى فيزيقي ملتصق بالصميمة السرية للكتاب، إنه لغة الأحشاء، الرفقة الغريزية المنبثقة من ميثولوجيا «الأنا» و من أحلامها و عقدها و ذكرياتها، و من ثمة فهو « **سجنه و عزلته، العنصر الذي لا يحده التعقل و الاختيار الواعي** »[3].
ولا يفوتنا أن نشير، في هذا المقام، أن إمكانية تفعيل الخطاب الأدبي، لا يمكن أن تتحقق، إلا من خلال عملية القراءة التي تعد عنصرًا أساسيًا في خلق نوع من التفاعل بين الخطاب الأدبي و المتلقي، هذا الأخير الذي يدخل في حوار مع النص لخلق معان و أبعاد جديدة، هي في مجملها انعكاس لردة فعل القارئ، كل على حسب التركيبية الخاصة لنسيجه الشخصي :

---

[1] ليلي شماع : « تجربة وكالة ألف للترجمة »، مجلة « فكروفن » الصادرة عن « مهد غوت » (Grsethe institut) العدد 79. صفحة 35.

[2] Jean-Pierre Richard : « Littérature et sensation, Stendhal – Flanbert, Editions du Seuil, Paris, 1954, page 12.

[3] نور الدين السد : الأسلوبية و تحليل الخطاب، صفحة 209

« Le phénomène littéraire n'est pas seulement le texte، mais aussi son lecteur et l'ensemble des réactions possibles du lecteur au texte – énoncé et énonciation »[1].

يؤكد المفكر الإيطالي « أمبرتو ايكو» على الأهمية البالغة للقراءة و على الجهد العسير الذي تتطلبه هذه العملية، ذلك أن النص المكتوب – على حد تعبيره – « **هو آلة كسولة تتطلب من القارئ جهدًا كبيرًا، وتعاونًا متواصلاً لملأ الفراغات و لجلب التذكرات الموجودة في النص**».[2]و من ثمة فلا بد من التسليم بأمرين أساسين الأول هو – كما سبق و أن أشرنا إليه – تعدد القراءة، أي تعدد إمكانية تأويل النص الأدبي بطرق مختلفة، و أمَا الثاني فهو مشروعية إعادة الكتابة و التي يشترك فيها كل من الكاتب و القارئ في إبداع النص.[3] هذا بالتحديد ما يُخول للمترجم – كقارئ بالدرجة الأولى– الحق في إعادة بناء و خلق النص الأدبي، و توقيعه ببصمة إبداعية خاصة في لغة الترجمة. **فالظاهرة الأدبية ليست موجودة لا عند الكاتب ولا في النص، ولكن في علاقة النص بالقارئ.**[4]

فالأدب له لغته الخاصة التي تنطوي تحتها شخصية الكاتب و تجربته في الحياة، واللغة ما هي إلا جملة من العوامل المرتبطة فيما بينها و المتفاعلة مع بعضها البعض بشكل يختلف عنه في لغة مغايرة.

وعليه يمكن القول إن النص الأدبي هو رسالة، يتحقق عبرها نوع من التواصل الدائم بين الكاتب و القارئ، و هو يشتمل من حيث المبنى على أربعة مستويات أساسية:

1- المستوى الصوتي
2- المستوى المعجمي
3- المستوى التركيبي
4- المستوى الدلالي

---

[1] Echuschwiller Michel : L'écrit universitaire, Ed Chihab, Alger, 1995, P65.

[2] يحرص "أيكو" على إعطاء دور للقارئ، و يعتبر أنه إذا كان هذا الأخير يستخدم حساسيته الشخصية و ثقافته وذوقه وميولا ته، فإن استجابة الأثر لتعددية القراءات تدل على حيازة النص لصفة الأثر الجمالي بالفعل، لأكثر تفاصيل ينظر: Umberto Eco : « L'œuvre ouverte, édition le Seuil, Paris 1979, PP.11-17.

[3] جورج مولينيه : الأسلوبية، صفحة 20.

[4] Michael Riffaterre : L'illusion référentielle in littérature et réalité, Seuil, 1982, page 29.

و بالإضافة إلى هذا و ذاك، فإن النص الأدبي هو نص يسعى دومًا إلى العالمية و الخلود، من خلال تجديده الذاتي للبوادر الفنية و الطاقات الجمالية الكامنة فيه، و من خلال استثمار أدبيته التي تتكشف عبر القراءة المتعددة لبنيته السطحية و العميقة.[1]

يقول فورطوناطو إسرائيل بشأن النص الأدبي أنه : " يُعتبر، إن من حيث المضمون أو شكل التعبير، كائنا حيًا، ديناميًا، حيويًا و متطورًا و معناه غير قابل للنفاذ (....)، كما أن النص الأدبي ملتبس بطبيعته خلاقًا للتواصل اليومي الذي يعتبر في غالب الأحيان أحاديًا. و هذا لأنه يتكون من شبكات دلالية معقدة تجعل من تعدد القراءات دون هدم البنيات، أمرًا ممكنًا، و علاوة على ذلك، فما دام النص يصدر عن وعي فردي، وعن رؤية شخصيته، فلا وجود لمرجع خارج اللغة بالضبط يمكنه أن يساعد على بناء المعنى و على التحقق منه "[2].

فخصوصية الخطاب الأدبي– نثرًا كان أم شعرًا، هي التصوير و النظم باللغة المجازية الجمالية التي تجعل الألفاظ تحيد و تنزاح في سياقاتها عما تدل عليه في أصل وضعها، و تحيل بشكل فني و شاعري إلى أحاسيس الإنسان، عواطفه و تخيلاته. فالأدب على حد تعبير "رولان بارت" **دائما غير واقعي، لكن ذات لا واقعيته تسمـــح له بأن يسأل العالم، و إن كانت هذه الأسئلـــة لا يمكن أن تكون مباشرة (...) إنه مجموع المشاريع و القرارات التي تقود الإنسان إلى تحقيق نفسه**[3] . هذا يعني أن الكتابة مشروع و الأدب تطبيق عملي لهذا المشروع، ومهمًا كان وضع النص الأدبي، فقد أصبح من الضروري النظر إليه كمنظومة سيميائية أو منظومة من العلامات الدلالية التي تتبادل الأدوار و تتفاعل فيما بينها. وبين ما يعتبرونه مقدارًا من القراءات، مشاركة في الحياة الجمالية، محاكاة للواقع أو خلقًا لجوٍّ خيالي، يبقى الأدب بكل أشكاله وقوانينه، عالمًا أصيلاً بين ظواهر النشاط الإنساني.[4]

---

[1] نور الدين السد : الأسلوبية و تحليل الخطاب، صفحة 207.

[2] فورطوناطو اسرائيل : الترجمة الأدبية –تملك النص– ترجمة مصطفى النحال، مجلة المترجم العدد 04 صفحة 223.

[3] من المقالات النقدية لرولان بارت، ترجمة عزيز يوسف المطلبي، مجلة التواصل العدد 08، دار جامعة عدن للطباعة و النشر، يوليو 2002، صفحة 137.

[4] بيير برونيل، كلود بيشوا، أندريه ميشيل روسو : ما الأدب المقارن؟ ترجمة : غسان السيد، منشورات دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة الطبعة الأولى دمشق – سوريا – 1996، صفحة 120–121.

2.II.ما هي الترجمة الأدبية و إستراتيجيتها

الترجمة الأدبية على حد تعبير الدكتور "محمد عناني" هي: " **ترجمة الأدب بفروعه المختلفة أو ما يطلق عليه الأنواع الأدبية المختلفة مثل الشعر و القصة و المسرح و ما إليها، وهي تشترك مع الترجمة بصفة عامة أي الترجمة في شتى فروع المعرفة (...) في أنها تتضمن تحويل شفرة لغوية** (code verbale)، **أي مجموعة من العلاقات المنطوقة أو المكتوبة إلى شفرة أخرى** ".[1]

خصوصية النص الأدبي و تميزه عن بقية النصوص الاقتصادية، القانونية أو العلمية الأخرى أمر يترتب عنه بالضرورة خصوصية في الترجمة و النقل، فالخطاب الأدبي كما سبق و أن أشرنا إليه هو خطاب يحكم التستر على قصدياته و يفتح مجالا واسعًا أمام القراءات و التأويلات المتعددة، ضف إلى ذلك أن "الأدبية" فيه تشكل جوهر رسالته التي غالبًا ما يصعب على حرفية اللغة أن تؤديها في اللغة المستقبلة.

لا يمكن للأثر أن يتحقق إلا من خلال ترجمة النص برمته كوحدة مكتملة البناء، و ليس من خلال ترجمة وحدات جزئية منفصلة عن بعضها البعض من حيث السياق أو التركيب، و هي الوسيلـــة الوحيدة الكفيلـــة بإثارة رد فعل عاطـــفي و انفعالي لدى متلقي الترجمـــة[2]، فالأمر هنا لا يتعلق بمجرد نقل نص بغية تأدية غاية إبلاغية و إخبارية لا غير، بل يتعداه إلى فبركة نص بوسعه التموقع في اطار سياق ثقافي و اجتماعي مغاير دون أن يفقد شيئا من أدبيته المصوغة في لغة الإنطلاق. هذا بالتحديد هو المقصود من كلام " إيناس أو سكي دى بري" (Inès Oski - Dépré) و الذي مفاده أن :[3]

« Il est un autre élément très important dans la traduction, extralinguistique, qui est le contexte culturel. La traduction dépasse le cadre linguistique, elle relève d'un pari, ou plutôt d'un acte de courage herméneutique. Il s'agit de comprendre le sens que certains mots assument

---

[1] محمد عناني : الترجمة الأدبية بين النظرية و التطبيق، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان–،الطبعة الأولى 1997، صفحة 7–8.

[2] فور طوناطو اسرائيل : "الترجمة الأدبية" : تملك النص " ترجمة" مصطفى النحال، مجلة المترجم العدد 04، صفحة 219

[3] Inès Gski - Dépré : Théories et pratiques de la traduction littéraire. Armand Colin, Paris, 1999, page 78.

à l'intérieur d'un texte original et de la traduction linguistique à laquelle ils se réfèrent ».

و عليه، يصبح من واجب المترجم أن يستوفي جميع مقومات الترجمة السليمة، بما فيها المعرفة الوافية بالثقافـــة التي ينقل عنها و تلك التي ينقل إليها، و أن يكون متمرسًا في اللغـــة المستهدفـــة و في طرق نظمها و تصويرها البلاغي، أي ببساطة، أن يكون ملمًا بالمعارف اللغوية و المافوق لغوية الضرورية، حيث أنه، و حتى على المستوى اللغوي المحض كثيرا ما يجد صعوبة في تحديد المفهوم الدقيق اللفظة و معناها. هذا ما تذهب إليه "كريستين دوريو" (Christine Durieux) في قولها :

« En langue، les mots ne renferment pas une signification unique et exclusive، ils sont polysémiques de même que les énoncés sont ambigus »[1]

و تضيف في نفس الموضع:

« Le traduction doit disposer d'un bagage cognitif mobilisable، faute de quoi il ne pourra s'exercer à jouer ce rôle de relais entre auteur et lecteurs »[2] .

أسوء ما يمكن أن يَفعله المترجم هو أن يقدم محاكاة باردة لألفاظ النص الأصلي، ذلك أن ترجمة الأسلوب تعني الاحتفاظ بروح النص و أغراضه و شحنة تأثيره، و المترجم إذا أطفأ هذا الوهج الذي كان يغشى فإن عليه جناية كبيرة تنبأ عن إخفاقه في القيام بمهامه.[3]

إن الترجمة الأدبية ليست مجرد عملية لغوية بسيطة، بل هي نشاط إبداعي و فكري يقتضي الإحاطة بجوانب معرفية شتى، و يأخذ قيمته الفنية في حدود قدرة المترجم على القراءة المنتجة و الكتابة الخلاقة [4].

---

[1] Christine Durieux en collaboration avec Florence Durieux : « Apprendre à traduire » la maison du dictionnaire 1995, Paris/ France page 21.

[2] Ibid, page 20.

[3] محمد يحي الخراط: الترجمة علم أم فن: مجلة "الفيصل، العدد 281، "دار الفيصل الثقافية" الرياض – المملكة العربية السعودية فيفرى – مارس 2000، صفحة 30–31.

[4] خضراوي سعيد : الترجمة و المصطلح، مجلة المترجم ،العدد 01 يناير–جوان 2001، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر ،2001، صفحة 56 .

معنى هذا الكلام أن الترجمة الأدبية عملية تقوم أصلا على جدلية التطابق و الإختلاف، أي أنها تسعى إلى صياغة معنى النص الأصل بالتخلص من ربقة اللغة الأصلية لهذا النص، و الوفاء التام للغة المستهدفة، أو هي كما يصفها البعض إجراء مماثله و مغايره، بحيث يكون الفرق بين الأصل و الترجمة هو الفرق بين "الأنا" و "الأخر"، و عليه يمكن القول، في هذا السياق أن الترجمة الأدبية هي عبارة عن تناص : **أي أنها عملية تحول مزدوج في القصد، قصد النص الأصل الذي يصبح الأصل في لغة الوصول غير ما كان عليه بذاته، وإياه. ومن ثمة فلا يجوز تقويم ترجمة نص أدبي بمقياس "التطابق" "و الدقة" و الأمانة للغة الانطلاق، بل بمقياس خيانتها بالذات، هذه الخيانة التي تكمن في قدرة النص الهدف على الانزياح إلى أبعد حد ممكن من مستوى مماثلة الآخر إلى مستوى مغايرته".**[1]

"فالنص الترجمة" هو قراءة، فهم، و نسيان لنص آخر، ثم كتابة جديدة له، أي أنه إنتاج نص ثان انطلاقا من نص آخر، و هذا ما يبرر شرعية الخيانة بالمفهوم الإبداعي في الترجمة باعتبار أن هذه الأخيرة تسعى إلى إنتاج نص مغاير في تماثله مع الأصل : **فالأمانة في ترجمة المفردة الواحدة لا تستطيع إلا نادرًا أن تنقل المعنى الذي ينطوي عليه الأصل نقلاً كاملاً، لأن هذا المعنى، و بعد دلالته الشعرية في الأصل، لا يتجسد في ما هو مقصود، و إنما يكتسب هذه الدلالة حسب اقتران المقصود بطريقة القصد في الكلمات المعينة"**[2].

يتفق كل من "ميشال ريفايتر" و جورج ستينار" (George Steiner) حول فكرة أن الترجمة الأدبية، كعملية تأويلية، لا تكتفي بنقل البنية الخارجية، الصوتية و النحوية أو حتى السيميائية للعمل، بل إنها تتجاوز كل الحواجز اللسانية التي تفصل بين اللغات، و تمارس نوعا من الخرق للجدران الواقية التي تحصن الشعرية في أحشاء الخطابات الأدبية.[3]

---

[1] رشيد بنحدو : "الترجمة كسيرورة تواصل و تناص"، مجلة ترجمان – المجلد 04 – العدد 1 – أبريل 1995 مدرسة الملك فهي العليا للترجمة، طنجة – المغرب صفحة 11.

[2] فالتر بنيامين : المترجم و مهمته، مجلة "فكروفن"، ص 24.

[3] Danielle Jacquin : Poésie en traduction, l'un et l'autre : Hopkins en français institut d'études anglophones, université Paris VII - Denis Diderot, Novembre 1994, page 90.
Voir aussi : George Steiner, Après Babel, une poétique du dire et de la traduction, Paris, Albin Michel, 1978, P.381.

و مع أن هذه المهمة صعبة للغاية و لا تخلو من المخاطر، إلا أنه يفترض بالمترجم أن لا يكون عاملا قي انغلاق النص على نفسه، بالعكس، يجدر به أن يضمن من خلال الترجمة نفس التعددية القرائية في اللغة الهدف[1].

تأسيسا على ذلك، يمكننا القول أن الترجمة الأدبية هي نشاط إبداعي خلاق، و عملية ذهنية معقدة تتفاعل فيها العديد من العناصر الثقافية و الجمالية، و لتقليص هوة المفارقة المحتملة بين الأصل و الترجمة، فإن هذه الأخيرة تسلك عدة طرق في النقل و إعادة الصياغة و هي بطبيعة الحال تستقي مناهجها من بؤر التنظير الترجمي الذي تغذيه العديد من الاختصاصات و المدارس سواءً المدارس اللسانية على اختلاف مشاربها أو المدارس الأدبية و الفلسفية أو حتى الاجتماعية و النفسية، و كلها مدارس و تيارات تجتهد لخلق مناهج تصبو إلى تحقيق الغاية و الأثر، و ذلك بإلغاء فكرة الترجمة الحرفية إلغاء تامًا و الإقرار بالترجمة المعنوية و نجاعتها في تحقيق الأمانة العلمية و الأدبية في النقل، و من ثمة نجد أن هذا النوع من الترجمات يتبنى المنهج التأويلي بشكل عام و هو منهج كفيل بضمان التعادل النسبي على مستوى الأثر عن طريق الاستثمار الواعي للتكافؤات اللفظية، التركيبية و الدلالية، كما أنه ينشط في حدود المبحث السوسيو ثقافي – اللغوي الذي يأخذ بالظاهرة الأدبية كظاهرة اجتماعية و يقوم على فكرة أن النصوص الأدبية هي كائنات اجتماعية* تعيش و تتأثر بالظروف الاجتماعية المحيطة بها.

II.3.الخطاب الأدبي بين التلقي و الترجمة:

إن في خاصية انفتاح النص الأدبي و قابليته للتأويل، استفزاز لمقروئية المتلقي و استثمار للقدرات الاستقبالية للقارئ، مع أنه في الكثير من الأحيان، يكون النص هو من يقترح قراءاته على الملتقى أو كما يرى "لفغانع أيزر" : بأن القراءة تعكس مجموع التوجهات التي يبد بها النص إزاء قارئ معين في لحظة محددة[2]، أي أنها و كما يصفها عمار بلحسن؛ فك شيفرة المكتوب أو المنسوخ أو المقروء اللغوية و الجمالية و الفكرية بوصفها مسارًا تناصيًا و إجتماعيًا يجمع داخله سياقات إنتاج خارجية، أدبية و ثقافية و ايديولوجية في ترابطها و تأثيرها في

---

[1] Israël (Fortunato) : traduction littéraire, séminaire de D.E.A. à l'ESIT, actes du colloque juin 1990, P.74.

[2] Jean Ricardou : « Pour une lecture rétrospective », Revue des sciences humaines, n° 177, 1980, Lille, page 57.

Voir aussi : ISER Wolfgang : L'acte de lecture.Théorie de l'effet esthétique, Bruxelles, Mardaga, 1985.

ظروف التلقي[1] . و هكذا فإن عملية التلقي تتم في شكل قراءة تناصية (intertextuelle) تتفاعل فيها عوالم شتى بما فيها العالم المتخيل للنص، عالمه الواقعي أو مرجعيته الخارجية، بإضافـــة إلى عالم المتلقـــي و أفق انتظاره(*) ، حيث أن هذا الأخير **يتجسد في تلك العلامـــات و الدعوات و الإشارات التي تفترض استعداداً مسبقًا لدى الجمهور تلقي الأثر**[2].

إذّ إن المواجهة بين الاحتمالات الممكنة و الأخرى المنفية و كذا التوقعات الممكنة و الأخرى المنفية، هو ما أطلق عليه أيزر لعبة الظلال (Jeu d'ombres) [3]. و المترجم قبل أن يكون مترجمًا فهو بالدرجة الأولى قارئ له استعداداته الاستقبالية، موسوعته الثقافية و مخبره الخاص الذي يستهلك فيه النص حسب عمره، جنسه وانتمائه الاجتماعي و الفكري و هو بالتالي يعد في حد ذاته نسيجًا نصيًا أو مجموعة من " الدوال " – على حد تعبير "رولان بارت" –، الفرق بينه و بين القارئ العادي يكمن في أن هذا الأخير يقرأ النص قراءة مستهلكة :
فعندها يطالع قارئ عاد عملاً أدبيًا فإنه يطالعه كي يستمتع به، فيندمج في شخصياته و يتوحد معها و يقوم عبر عملية التلقي بتجربة جمالية [4] . أما القارئ – المترجم، فإنه يقرأ النص قراءة منتجة و عميقة، ذلك أنه يحمل على عاتقه مسؤولية سفر النص الأجنبي و انتقاله إلى ضفة أخرى ينتظره فيها قارئ جديد، لذا فإن هناك من ذهب إلى اعتبار المترجم قارئ نموذجي و هذا ما يقصده "أمبرتوايكو" حين يقول :

« Un texte veut que quelqu'un l'aide à fonctionner (…) il postule son destinataire comme condition non de sa propre capacité communicative concrète، mais aussi de sa propre potentialité significatrice. En d'autres mots، un texte est émis pour quelqu'un capable de l'actualiser، même si on n'espère pas que quelqu'un existe concrètement ou empiriquement »[5] .

---

[1] عمار بلحسن : قراءة، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 84–85، جانفي – فيفري بيروت – لبنان 1991، صفحة 54.

(*) أفق الانتظار هو مفهوم أساسي في نظرية القراءة، و هو ينبني وفق جملة من الأنظمة النصية المؤسس لها سلفاً في ذهن القارئ، موسوعته الفكرية و ذخيرته القرائية، لأكثر تفاصيل ينظر : شارو بنسكي جان : نحو جمالية التلقي، ترجمة محمد العمري، دراسات سال، عدد 06، 1992، فاس، صفحة 42.

[2] حسين الواد، من مناهج الدراسات الأدبية، سراس للنشر، تونس 1985، صفحة 77.

[3] Voir : ISER Wolfgang : La fiction en effet, éléments pour un modèle historico fonctionnel des textes littéraires. In Poétique : 39, septembre 1979, P. 285.

[4] عبده عبّود : الأدب المقارن – مدخل نظري و دراسات تطبيقية – منشورات جامعة البحث – كلية الأدب و العلوم الأساسية 1997–1998 صفحة 224.

[5] Eco Umberto: Lector in Fabula. Grasset, Paris, 1985, page 67.

أن يقرأ المترجم النص، معناه أن يطبق عليه سلطة تأويلية تُخَول له تفسير النص وفق ثقافته، ميوله و رغباته **فميدان التأويل هو قوانين الخطاب و بنية التركيب و مجاز المدلول، أما ميدان الفهم فهو الدلالة و المعنى (...) و يتم التميز بين ثلاثة عمليات قرائية هي الشرح و التفسير و التأويل**[1]. فأما الأول فميدان الألفاظ، وأما الثاني فميدان المعاني و أما الثالث فمجاله البحث في الدلالات الخفية و غير المعلن عنها، و عليه فإن مشروعية هذه الممارسة الذاتية تأتي من تلك الفراغات التقريبية التي يتركها النص بين سطوره، وتلك الملابسات الخطابية التي يسكت عنها أو يحجبها، فالنص الأدبي هو بناء معماري يجسد مجال سيميائي ينفتح على خلفية مرجعية ترتبط بفكر المؤلف و ذاتيته، لذا فإن تحقيق النص المحاذي بالمقابل يتطلب من المترجم تفعيل عملية القراءة بشكل يسمح له بالكشف عن المسكون عنه و التنقيب في سيميائية النص و أنظمته الدلالية.

بهذا الشكل، يصبح المترجم همزة وصل بين ثقافة النص الأجنبي التي ينقل عنها و متلقي العمل في لغة الترجمة المنقول إليها، و على الرغم مما يُعَاب على الترجمة من خيانة الأصل، فكثيرا ما حظيت هذه الأخيرة باستقبال باهر من قبل الجمهور، و كم من عمل أدبي شهدت ترجماته إقبالاً لم يشهده ذلك العمل في ثقافته الأصلية، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك الترجمة الفرنسية التي قام بها "جيرار دي نرفال" لـ "فوست" لمؤلفه الألماني "غوته"، و كذا تعريب "سليمان البستاني لا لياذة" هو ميروس" عن اللغة اليونانية. و هكذا سواءً تعلق الأمر بتلقي النص في لغته الأصلية أو لغة الترجمة فإن فهم العمل الأدبي – على حد تعبير "روبرت اسكاربيت" – لا يمكن أن يحدث إلا بعد التعرف على الطريقة التي قرئ بها، فلا وجود للفن إلا بالآخرين و من أجلهم.[2]

II.4.الترجمة الأدبية في ميزان التكافؤ الأسلوبي و التعادل الجمالي :

إن السؤال الرئيسي الذي يطرح نفسه في مجال الترجمة الأدبية يدور بشكل أساسي حول طبيعة العمل في لغة الترجمة، و مدى مقاربة هذا الأخير أو مفارقته للأصل سواءً على مستوى

---

[1] حسين خمري : نظريات القراءة و تلقي النص الأدبي، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 12، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ديسمبر 1999، صفحة 177.

[2] روبرت أسكاربيت : سوسيولوجيا الأدب، ترجمة أمال عرموني، باريس منشورات عويدات 1978، صفحة 20-21.

البنية أو على مستوى الجوهر، و **يجمع كل علماء الترجمة على أن الترجمة الجيدة هي تلك التي تتعادل أو تتكافأ مع الأصل من ناحيتي المحتوى و الشكل و تتماثل معه بالتالي، من حيث التأثير و الفاعلية** [1] . و من ثمة فهو تساؤل حول طبيعة العملية الترجمية التي تحددها طبيعة العملية الإبداعية في حد ذاتها، فالعلاقته بينهما وطيدة، على أساس، أن فعل الكتابة هو الأصل في كلا العمليتين، كما أن الترجمة **عندما تفصل بين الكتابة و الإبداع، فإنها تعزل بصورة آلية أجزاء، لا يستطيع أي كاتب أن يوضحها في لغته الأم بسهولة المترجم الذي يحفر الهوة لحظة عبورها هو واضح و غامض في الوقت نفسه، و خارجي و داخلي في مهمته، و يعد شكلاً من المخبر المتميز**" [2] .

إن الترجمة الأدبية هي عملية إبداع محاذي لا حق لعملية الخلق الأصلي و قراءة لأفق المترجم في حدود ما تسمح به التعدية الدلالية للنص الأصلي و المعطيات الجمالية للإبداع الأدبي، و عليه يصبح من أولويات الفعل الترجمي، في هذه الحالة، تحقيق الأثر الأدبي المكافئ للأثر الأصلي من خلال خلق نوع من التعادل الأسلوبي. مع أن هذا الأمر كثيرا ما يعد ضربًا من ضروب التعجيز، إذ أنه **لا بد من الاعتراف بأن مسألة التعادل الجمالي – الأسلوبي مسألة شائكة و بالغة التعقيد، بل و من الصعب جدًا أن يضع المرء نظرية لهذا النوع من التعادل، فللغة الهدف و سائلها و إمكاناتها و تقاليدها الأسلوبية التي قد تلتقي، ولكن بصورة جزئية مع التقاليد الأسلوبية للغة المصدر، ولكنها تختلف عنها بكل تأكيد. و لهذا فإن استخدام الوسائل الأسلوبية المتوفرة في لغة الهدف قد يؤدي إلى تأثير مختلف كل الاختلاف عن التأثير الذي تمارسه الوسائل الأسلوبية الموازية في لغة المصدر**"[3].

فكل التيارات الأسلوبية التي سبق و أن ذكرناها في الفصل الأول من هذا البحث تتفق على فردية الأسلوب، و انتمائه للكلام أو التعبير الشخصي، و عليه فإنه ليس من الغريب أن تنجز ترجمة هذه الأعمال الأدبية من منطلق ذاتي و فردي، و يشير "لادميرال "[4] في هذا الصدد أن

---

[1] عبده عبّود : الأدب المقارن، صفحة 131.

[2] بيير برونيل، كلود بيشو، اندريه ميشيل روسو، ترجمة غسان السيد : ما الأدب المقارن؟ صفحة 116.

[3] عبده عبّود : الأدب المقارن، صفحة 133

[4] J.R Ladmiral : Traduire, théorèmes pour la traduction, petite bibliothèque Payot 1979, P110.

المترجم أيضا يمارس عملية الكتابة الأدبية و هو مضطر فيها لا محالة لمواجهة و تحدي أبسط تفاصيل العمل الأصلي.

إن طبيعة النصوص الأدبية التي تتميز بسيطرة العناصر التركيبية و الإيحائية للتعابير الموزعة بصفـــة غير منتظمـــة بين اللغـــة المصدر و اللغة الهدف، بالإضافة إلى الوظيفة الجمالية للغة و التي تجسد الرغبة الإبداعية عند الكاتب، كلها أمور من شأنها أن تزيد مهمة المترجم تعقيدًا، و تحول دون إعادة الصياغة الإبداعية الخلاقة للعمل على مستوى المضمون و الأسلوب معًا، فتبقى بالتالي، الحنكة و الكفاءة الإبداعية للمترجم هي السبيل الوحيد لتحقيق التكافؤ الأسلوبي المناسب و إعادة فبركة الخصائص الأدبية للعمل بشكل ملائم، أي قدرته على إعادة إحياء النص من جديد عن طريق خلق نظام نحوى و تركيبي جديد في اللغة الهدف أو كما يقول "دولوز" « Deleuze » :

« Le problème d'écrire، (…)، et que l'écrivain، comme dit Proust، invente dans la langue une nouvelle langue، une langue étrangère en quelque sorte. Il met à jour de nouvelles puissances grammaticales ou syntaxiques. Il entraîne la langue hors de ses sillons coutumiers، il la fait délivrer »[1] .

لهذا بالتحديد، نجد أن مفهوم التعادل الأسلوبي في الترجمة يقترن أساسا بمفهوم "التعادل الديناميكي" الذي يُخَولُ للمترجم استثمار الوسائل الأسلوبية المناسبة لإنتاج نص أدبي من شأنه إحداث نفس التأثير عند متلقي الترجمة، و لا يمكن لهذا الأخير أن يتحقق إلا إذا كانت الترجمة على قدر من الإبداع، الذي تختلف شدته من واحد لآخر **فكلما تخلص المترجم من سلطة اللغة الأصلية حقق لنصه باللغة الطارئة شدة إبداعية طردًا مع أنواع الترجمة المعروفة (الحرفية، التفسيرية، الاقتباسية). و إن وصل إلى درجة وقوع الحافر على الحافر، أو ما يسمى توارد الخواطر لامس حدود إبداعية جديدة (…) فترجمة الإبداع قراءة ثانية له و إبداع و خلق جديد له…"**[2]

---

[1] Wallace Stevens : Un ordre abstrait de la traduction ; Cahiers Charles V ; Poésie en traduction, page 95-96.

[2] خليل نصر الدين : لغة الترجمة في ميزان نظرية الوجود النصي : مجلة كتابات معاصرة العدد 32 المجلد الثامن بيروت – لبنان، 1997–1998، صفحة 140.

III. الخطاب الأدبي في رحاب الترجمة الآلية :

1.III.نشأة الترجمة الآلية و مراحل تطورها :

الترجمـــة الآليـــة هي نظام يسمح بنقل النص من لغـــة إلى لغة أخرى بواسطـــة استخدام الآلة و التقنيات الإلكترونية، أو هي، على حد تعبير "بيرات بويون" « Pierrette Bouillon » :

« La traduction automatique (TA) se définit comme l'application de l'informatique à la traduction des textes d'une langue naturelle de départ dans une langue d'arrivée »[1].

إن فكرة الترجمة الآلية فكرة قديمة تمتد بجذورها إلى عصر النهضة الآلية، و يعتبر "ليبنز" (Leibniz) أول من تحدث في الموضوع، ليكتب من بعده ديكارت Descartes رسالة إلى "بيير مارسين" (Pierre Mersenne) يصف فيها اقتراحا للغة عالمية تعطى فيما الكلمات رموزًا رقمية للتعبير عن مقابلاتها في كل لغات العالم، و من ثمة أنشأ "زامينهوف" (Zamenhof) سنة 1887 اللغة العالمية المعروفة باسم الاسبيرنتو، و بمجرد ظهور الآلة الحاسبة[*] مطلع القرن العشرين بدأ التفكير الجدي في استخدام الآلة في الترجمة، حيث قام المهندس الفرنسي "جورج أرتسروني" (George Arssouni) باختراع آلة أطلق عليها اسم : "الدماغ الميكانيكي"، و كان ذلك بالتحديد في 22 جويلية 1933[2] مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية، و في غضون التنافس التكنولوجي و العسكري الشرس بين روسيا و أمريكا، بدأت هذه الأخيرة ، في إطار ما عرف بالحرب الباردة، بتطوير أولى الإنجازات التطبيقية في مجال الترجمة الآلية لتؤمن مصالحها الاقتصادية و الإستراتيجية و ذلك بعد أن قام العالم الرياضي الكبير "وارن و يفر" (Warren Weaver) الذي كان يعمل بمؤسسة روك فيلار

---

[1] Pierrette Bouillon, André Clas : La traductique, les presses de l'université Montréal AUPEL / UREF (Québec) Canada, 3ème trimestre 1993, page 15.

[*] يعود الفضل في اختراع الآلة الحاسبة إلى "تشار لزبابج" (CH. Babbage) 1792-1971 أحد أساتذة الرياضيات في جامعة كامبريدج، و عرفت باسم "آلة الفروق". و بعد صدور كتاب "قوانين التفكير" سنة 1845 لمؤلفه، عالم المنطق الإنجليزي جورج بول (1815–1864) الذي عرض فيه مفهوم المنطق الرياضي، بدأ الاتجاه نحو استخدام الآلة في أداء أعمال عقلية، فكان أن قام عالم الرياضيات الأمريكي جون فن نيومن J.W. Neumann بوضع أسس بناء الحاسوب كما نعرفه اليوم. لتفاصيل أكثر ينظر عبد الحميد عيدوني استعمالات الحاسوب في التقويم النفسي و اتخاذ القرارات، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية العدد 02، ديسمبر 1994، باتنة، الجزائر، صفحة 109–111.

[2] عبد الله بن حمد الحميدان : مفاهيم أساسية في الترجمة الآلية، جامعة الملك سعود، مركز البحوث، الرياض 2000م، ص 54.

Rockefeller– بإقناع السلطات أن الترجمة الآلية أمر هين بالنسبة للآلة، و أن هذه المهمة لا تحتاج لأكثر من تلك التقنيات التي تم تطويرها من أجل حلّ رموز الرسائل المشفرة* "**فاللغة البشرية عبارة عن وسيلة اتصالية مشابهة للوسيلة الاتصالية السرية، إن كل ما ينبغي أن تفعله هنا هو أن تحلل رموز هذه اللغة المترجم منها أو اللغة المترجم إليها**"[1]، و عليه، فإنه من وجهة النظر هذه، تصبح اللغة نظامًا رياضيًا يمكن حل رموزه بطريقة دقيقة ثم إعادة تركيبه على المستوى الصوتي، النحوي و الدلالي، لذا فقد خظيت هذه الفكرة باهتمام الباحثين، الذين أقروا حينها بإمكانية ترجمة أي لغة بشرية إلى لغة أخرى ترجمة آلية [2].

و رغم أن فكرة الترجمة الآلية دعمت بمبالغ هائلة من قبل الجيش و مصالح الجوسسة، إلا أنها سرعان ما فشلت في تحقيق غرضها بالشكل المطلوب و المنتظر حيث بين "ييهوشوا بارهيلل" (Yehoshua Bar Hillel) في التقرير الذي أصدره سنة 1960 أنه يستحيل تقديم ترجمة أوتوماتيكية محضة ذات جودة عالية دون أخذ المعنى بعين الاعتبار، وقد بدا المشكل في تلك الفترة جسيما لا يمكن تخطيه بأي شكل من الأشكال، لذا فإن الحكم في حدّ ذاته لم يبدو غريبا، علمًا أن السبب الرئيسي في الفشل الذريع الذي عرفته الترجمة الآلية آنذاك تمثل أساسًا في قصور الإعلام الآلي و محدودية تقنياته الأوتوماتيكية في التمييز بين البرامج و المعلومات اللسانية، بالإضافة إلى طرق البرمجة البدائية و ذاكرة الحواسيب المحدودة، كما أن اللسانيات لم تكن متطورة بشكل كبير، ولم تكن البنيوية لتهتم يومها بالمعنى و مشاكله، ومن ثمة فلم يكن لها تأثير يذكر على الأنظمة العامة للترجمة الآلية[3] .

و استمرت الحال على هذه الوتيرة إلى غاية 1964، حيث كلفت السلطات المستثمرة في مجال الترجمة الآلية لجنة بتقييم تطور الأحداث في هذا المجال، فكان أن أصدرت تقرير "ألباك"

---

* كان ذلك في بداية الخمسينات، أين تم تسخير التقنيات العسكرية السرية لتطوير مناهج الترجمة الآلية، دون أي حصر أو تحديد لنوعية النصوص المترجمة، وبدأ الاشتغال في إطار فكرة أوطوبية تمثلت في TEABQ (أو الترجمة الآلية المحضة ذات الجودة العالية).

[1] مازن الوعر : دراسات لسانية تطبيقية، طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، الطبعة الأولى، دمشق، سوريا 1989، صفحة 318.

[2] مازن الوعر : اللسانيات و العلم و التكنولوجيا : نحو تعريب موحد للسانيات التطبيقية العربية و برمجتها في الحاسبات الإلكترونية، مجلة اللسان العربي العدد 22، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم مكتب تنسيق التعريب 1982–1983 صفحة 20.

[3] Pierrette Bouillon, André Clas, Traductique, page 17.

ALPAC سنة 1966، و الذي أسفرت تحقيقاته عن نتائج وخيمة كشفت عن المردودية الضئيلة للإنجازات الآلية في مجال الترجمة، مما أدى إلى الانقطاع الفوري لكل التمويلات المخصصة لهذه الأبحاث، الأمر الذي لم يحل دون استمرار العلماء في بحوثهم النظرية، إذ انقسم هؤلاء إلى اتجاهين مختلفين؛ الاتجاه الأول صبّ اهتمامه حول الأبحاث النظرية في مجال التركيب بريادة "نوام شومسكي" الذي طور نظريته في النحو الشكلي و النحو التوليدي، كما أسس نظرية جديدة تقوم على معالجة تركيب لغوي محض، انطلاقًا من فكرة أن التركيب ضروري لاستخراج المعنى من الجملة و أن المعالجة التركيبية يمكن أن تتم بشكل مستقل عن المعالجة الدلالية [1] .

يصف"مازن الوعر" إسهامات "نوام شومسكي" في مجال الترجمة الآلية قائلا : "**في الحقيقة إن العمـــل اللساني الذي يقوم به عالم اللســـانيات الأمريكـــي نوم شومسكي في النحو التوليدي و التحويلي إنما كان قد تطور من خلال استخدام الحاسبات الإلكترونية و عمل شومسكي هذا هو عبارة عن جهد من أجل صياغة اللغة البشرية صياغة رياضية تجريدية، و ذلك من خلال وضع قواعد محددة و معروفة للغات البشرية**"[2] . أما فيما يخص الاتجاه الثاني، فقد ركز دراساته حول مشكل تمثيل المعنى من خلال استثمار المعارف المتداولة في مجال الذكاء الاصطناعي[(*)] و قد أسفرت هذه الأبحاث عن نتائج ملموسة في ميدان معالجة اللغات الطبيعية، كما ساعدت على انجاز عدد لا يستهان به من البرامج التي تشهد على إمكانية المعالجة الأوتوماتيكية للغات الطبيعية دون الرجوع بالضرورة إلى النظرية اللسانية، مع أنه أمر لا يخلو من الصعوبة و العوائق.

بالموازات مع هذه الأبحاث، استمرت بعض المجموعات في العمل مع قطاعات خاصة في كل من أوربا و كندا، و بدأ الاتجاه شيئًا فشيئًا نحو مختلف اللغات بعدما كان التركيز قائما في

---

[1] Ibid, P18.

[2] مازن الوعر : دراسات لسانية تطبيقية، صفحة 323.

[(*)] ظهر مفهوم الذكاء الاصطناعي أول ما ظهر سنة 1956، و هو تقنية معلوماتية تقوم على المعالجة الآلية للتصرفات الذكية و النشاطات الفكرية للإنسان والتي يصعب في الكثير من الأحيان تحديد طريقة اشتغالها، و عليه يصبح بإمكان الحاسوب المزود بهذه التقنية أن يفكر أو يشتغل بطريقة استنتاجية و حدسية تمكنه من أخذ القرارات حسب المعطيات التي يستقبلها و حسب البنوك المعرفية المخزنة في ذاكرته. و لعل من أهم الأنظمة التي طورت في هذا المجال تلك الأنظمة التي تعرف " بالأنظمة الخبيرة" (1970) Systèmes experts و قد كان الغرض منها الاستثمار الجاد للمعارف المحصلة عن طريق المختص (الخبير) البشري للقيام بمعالجة المشاكل حسب الاختصاصات.

البداية على الإنجليزية و الروسية، وأمام الكم الهائل و الارتفاع المروع في عدد الترجمات المطلوبة، شرعت المجموعة الأوروبية سنة 1975 بالتفكير في مخطط عملي يهدف إلى التنسيق بين مختلف المشاريع التي تعالج مشكل تعددية الألسنة و كذا الترجمة الآلية، و في خضم سنة بالتحديد دخل هذا المشروع حيز التطبيق و تم الإعلان سنة 1976 عن إنجاز أول نظام تجاري للترجمة الآلية يدعى بـــ "سيسران" (Systran) و الذي قام بانجازه العالم الأمريكي بتير توما « Peter Toma » حيث بدأ هذا الأخير في تجسيد الفرضيات النظرية بشكل عملي في معهد التكنولوجيا بكاليفورنيا فأشأ في البداية نظام "أو توتران" Autotran، ثم "تكنوتران" (Technotran)، ليستقر في الأخير على نظام "سيستران"، و بذلك أصبحت الترجمة الآلية مؤسسة معروفة لدى الجمهور العريض، الشيء الذي أثار اهتمام القطاعات الحكومية و الخاصة بهذا المجال من جديد سواء في أوروبا أوفي أمريكا و اليابان، فتعددت الأنظمة التجارية المنجزة في حقل الترجمة الآلية مما أدى إلى ارتفاع المردودية العلمية و المادية لهذه الأخيرة.

و على الرغم من الصعوبات الجمَّة التي واجهت ولا تزال تواجه البحث العلمي في مجال الدراسات الأوتوماتيكية للترجمة، و بالرغم من كون الترجمة الآلية إحدى مجالات معالجة اللغات الطبيعية الأكثر تعقيدًا، فإنه لا يمكن بأي حال من الأحوال إنكار المزايَا الكثيرة لهذه الأخيرة، كالسرعة الفائقة في انجاز كم هائل من الأعمال مقابل عجز القدرة البشرية عن القيام بها في نفس الفترة الزمنية، حيث تبلغ سرعة هذا النظام الآلي في يومنا هذا ما يعادل 180 ألف كلمة إلى ربع مليون كلمة في الساعة الواحدة مقابل 400 كلمة بالنسبة للترجمة البشرية[1].

كما أنه وبفضل التجارب المكثفة الجارية في مجال الذكاء اصطناعي، أصبح من الممكن حاليًا استثمار المعارف الدلالية للعالم، و المعارف اللغوية للكلمات في الإطار السياقي للنصوص اللغوية ولو بشكل نسبي، الأمر الذي يسمح بالوصول إلى نتائج طيبة بخصوص بنية الكلام البشري و طريقة نقله آليًا من لغة إلى لغة أخرى : "**فقد أصبحت هناك أنظمة لسانية آلية تستطيع أن تحلل النص اللغوي بشكل كامل و تنقله إلى لغة رياضية حسابية عالمية أي إلى تمثيلات رياضية لا تنتمي إلى لغة بشرية بعينها و إنما تمثل تقنيات عالمية تنطبق على جميع اللغات البشريـــة. بالإضافـــة إلى هذا فقد أصبح بمقدور الحاسب الإلكتروني إعطاء تفسيرات و خلاصـــات جوهرية معينة لمعلومات عديدة تنتمي إلى حقول بشرية مختلفة**" [2].

---

[1] المرجع السابق صفحة 349.

[2] نفسه صفحة 330.

2.III.الترجمة الآلية و علاقتها باللسانيات الحاسوبية :

لقد بدأ الاشتغال في مجال اللسانيات الحاسوبية أول ما بدأ بجامعة "جورج تاون" بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1954، و قد ظهرت أولى الإرهاصات المؤسسة لهذا العلم في إطار الأبحاث المنجزة في مجال الترجمة الآلية، و اللسانيات الحاسوبية كما يعرفها محمد الخولي : "**فرع من علم اللغة التطبيقي يعنى بتطويع اللغة للعقل الآلي و استخدام هذا العقل في دراسة اللغة ذاتها و لهذا يعنى هذا العلم بالترجمة الآلية واستعادة المعلومات المخزنة في ذاكرة العقل الإلكتروني**"[1]. تأسيسا على هذا التعريف يمكن اعتبار هذا العلم فرع جديد من فروع اللسانيات التطبيقية و النظرية و هو نتيجة طبيعية لاقتران اللغة بالآلة، ضف إلى ذلك أنه يهدف إلى دراسة اللغة البشرية و برمجتها بشكل علمي و موضوعي، كما أنه علم يسعى إلى تحقيق العديد من الأغراض كالتحليل اللغوي و الترجمة الآلية.

يعد درس اللسانيات الحاسوبية بمثابة البوتقة التي تنصهر فيها العديد من الاختصاصات مثل اللغويات المعلوماتية، الذكاء الاصطناعي و علم اللسانيات الرياضي، هذا الأخير الذي يؤطر للغات البشرية بشكل رياضي تجريدي و يشرح الظاهرة اللغوية بكل مستوياتها شرحًا موضوعيًا و دقيقًا و يلخص "مازن الوعر" هذه الظاهرة في قوله : "**يبحث هذا العلم في اللغة البشرية كأداة طيّعة لمعالجتها في الآلة، و تتألف مبادئ هذا العلم من اللسانيات العامة بكافة مستوياتها التحليلية : الصوتية و النحوية و الدلالية، و من علم الحاسبات الإلكترونية (الكمبيوتر، و من علم الذكـــاء الاصطنـــاعي و علم المنطق ثم علم الرياضيـــات)، إن كل هذه الفروع تتناســق و تتألف لتشكل مبادئ علم اللسانيات الآلي**"[2].

و نشير في هذا الصدد، أن العلماء قد سلكوا مسلكين رئيسين في تعريف علم اللغة الآلي أو علم اللغة الحاسوبي – كما يدعوه البعض– : الأول يرى أصحابه أن هذا العلم هو جزء من علم الذكاء الاصطناعي واعتبروه بذلك العلم الذي يبحث في العمليات اللغوية التي يقوم بها الذهن

---

[1] محمد على الخولي : معجم علم اللغة التطبيقي، مكتبة لبنان، لبنان 1986 صفحة 21.

[2] مازن الوعر : اللسانيات و العلم و التكنولوجيا – نحو تعريب موحّد للسانيات التطبيقية العربية وبرمجتها في الحاسبات الإلكترونية، مجلة اللسان العربي، العدد 22، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم – مكتب تنسيق التعريب دورة 1982–1983.

البشري، و ذلك باستخدام الآلة أو الحواسيب الإلكترونية، أما البعض الآخر فقد ربط هذا العلم بحقل الإحصاء اللغوي الذي يعالج المواد اللغوية باستخدام الحاسب الإلكتروني، و يركز أصحاب هذا الاتجاه بالدرجة الأولى على النموذج الإحصائي بغية إيجاد حلول مجدية لمشاكل الإحصاء اللغوي، المهم أنه أيًّا كانت الطرق المتبعة و الوسائل المعتمدة في هذا الحقل، فإن اللسانيات الحاسوبية تسعى بشكل تطبيقي و علمي إلى النهوض بالترجمة الآلية و الإسهام في تطوير أنظمتها ومبادئ اشتغالها، و تحسين خدماتها سواءً من ناحية الكم أو الكيف، لتسدَّ بذلك جزءًا من ثغرة العجز الذي تعانيه هذه الأخيرة في التصدي للعديد من العقبات اللغوية، الفكرية أو الثقافيـــة و يصبح حينهـــا بمقدور الترجمـــة الآليـــة الخوض في مجالات عدلت عنها في السابق، و يوضح الدكتور "عبد الله بن محمد الحميدان" أواصل الارتباط بين اللسانيات الحاسوبية و الترجمة الآلية في قوله إن : " **الترجمة الآلية تشكل فقط جزءًا واحدًا من كل أكثر اتساعًا ألا و هو ميدان و مجال البحوث النظرية و التطبيقية المهتمة بمعالجة اللغات الطبيعية بالحاسوب و التي تتبع لما يعرف باللسانيات الحاسوبية بشكل عام. و هذا الحقل الواسع من العلوم، أي اللسانيـــات الحاسوبية يتناول و يستكشف الآليات الأساسية التي تقوم عليها اللغة و العقل وذلك بوصفها و صياغتها رياضيًا باستخدام اللغات الصورية و الاصطناعية لوضعها في نماذج و من ثم محاولة محاكاتها في البرامج الحاسوبية**"[1].

و من ثمة يتبين لنا أن موضوع اللسانيات الحاسوبية لا يكمن بالدرجة الأولى في دراسة اللغات البشرية، كما هو الحال في اللسانيات الكلاسيكية، و إنما تكمن المهمة الأساسية التي يضطلع بها اللسانيون في هذا المجال، في مراقبة كيفية اشتغال هذه اللغات ووصفها وصفًا نحويًا، صرفيًا ودلاليًا، ليقوم علماء المعلوماتية في مرحلة لاحقة بترجمة هذا الوصف إلى لغة الآلة و برمجته عن طريق المعطيات أو الخوارزميات[*] (Algorithmes) المناسبة، و عليه، فإن فعالية نظم الترجمة الآلية و كفاءتها متوقف لا محالة على كفاءة اللسانين و المبرمجين و كذا الإلكترونين الذين يعلمون في إطار الحقل العلمي الذي يعرف بحقل "معالجة الإشارة" (أو التعرف على الأشكال) أو بشكل خاص "معالجة الكلام"، حيث أنه لا بد في الترجمة الآلية للنصوص المكتوبة

---

[1] عبد الله بن حمد الحميدان، المرجع السابق ص 15.

[*] الخوارزميات عبارة عن وصف لحلّ إشكالية ما في لغة البرمجة، حيث يتم هذا الوصف عبر مراحل متتالية وينشأ عنه برنامج معين.

(Un algorithme est la description pas à pas d'une solution d'un problème transcrit dans un langage de programmation, un algorithme donne lieu à un programme).

من تحليل الكلام و تحويله في اللغة المصدر من إشارات صوتية إلى نصوص مكتوبة تُمررُ على نظم الترجمة الآلية ومن ثمة يتم معالجة النصوص المترجمة الناتجة لتوليد و تركيب الإشارات الصوتية الموافقة في اللغة الهدف، و لا تقتصر هذه المهمة على جهود الإلكترونين فحسب، بل تتطلب أيضًا تدخل للغويين الصوتين الذين يعملون على مراقبة قواعد الكلام ووصفه ليتمكن المعلـــوماتيين بذلك من برمجة المعلومات و المعطيـــات الخاصة بالخطاب الأصلـــي، و بطبيعة الحال فإن المترجم لا يُقصَى من هذه العملية إذ **إن التعرف على منهجية أو منهجيات عمل المترجمين و نظريات الترجمة المتعلقة بذلك عنصر أساسي في تصميم نظم الترجمة الآلية، لكي تعكس النظم العملية منها حدودًا معقولة من الانسجام مع مختلف هذه النظريات التطبيقية"**[1].

عصارة القول هو أنه لابد من تسخير الوسيلة أو الأداة الملائمة التي بمقدورها استيعاب الظاهرة اللغوية و توفير السبل المناسبة للمعالجة الرياضية و الإحصائية للنصوص اللغوية على تنوعها و لا يمكن لذلك أن يتحقق إلا بتكاتف جهود العلماء و الباحثين على اختلاف مشاربهم، حينها فقط سيكون بوسع اللسانيـــات الحاسوبيـــة مجابهة أصعب تحدي لها في مجـــال الترجمة الآلية و المتمثل في خلق نظام دلالي خاص في هذه الأخيرة، وينوه " م. زارتشناك" بحتمية الإشغال في هذا الاتجاه بقوله : "**يجب أن يكون هناك اتجاه دلالي جديد لمعالجة النصوص اللغوية آلية، فلم يعد التحليل اللساني يعتبر الجملة أو التركيب أكبر وحدة لغوية دلالية بل تعدى التحليل اللساني الحديث عن دلالة الجملة إلى دلالة المقطع اللغوي على أنه أكبر وحدة دلالية"**[2].

3.III.أنظمة الترجمة الآلية و مناهج اشتغالها :

لقد ظهرت العديد من الأنظمة الآلية في الترجمة بفضل الجهود المكثفة التي قام بها الباحثون بعد صـــدور تقرير "ألباك" (ALPAC) سنة 1966، و ذلك من خلال التوسيع في رقعة التطبيـــق، و الرفع في درجة الأتْمَتَة و كذا الزيادة في عتبة الجودة. و لتعويض بعض العجز الإجرائي في هذه الأنظمـــة تمت الاستعانـــة بالعامل البشري في مختلف مراحل الترجمة الآلية، أي قبل، بعد

---

[1] عبد الله بن حمد الحميدان : المرجع السابق صفحة 19.

[2] مازن الوعر : دراسات لسانية تطبيقية صفحة 336-337.

و أثناء العمليات الجزئية في الترجمة الآلية، و من ثمة فإن طبيعة هذا التدخل تتحدد حسب المهام المُوكَلة إلى العامل البشري في إحدى هذه المراحل الثلاثة و المتمثلة في :

1- مرحلة التحرير القبلي Ré-édition:

وهي المرحلة التي تسبق عملية الترجمة الآلية، حيث يتدخل المحرر فيها بمراقبة وضبط اللغة الأصليـــة و تحضير النص إما على مستوى الشكـــل من خلال تقطيع وحدات الترجمـــة و تعيينها، و إما على مستوى المضمون من خلال إجراء التطويعات المناسبة التي تتوافق مع نظام المعالجـــة الآلي، هذا بالإضافـــة إلى تحديد الكلمات الغامضة أو المجهولة بالنسبة للنظام و إلحاقها بوصف معجمي مختصر من شأنه أن يخفف بعضًا من الإبهام المحتمل في النص المصدر.

2- مرحلة الترجمة التحاورية Traduction interactive :

تحيل بعض أنظمة الترجمة الآلية الحديثة مشاكل الغموض و حلوله إلى مستخدميها و الذين هم في غالب الأحيان من جنس المترجمين، حيث تتم العملية بطريقة تحاوريه أو تخاطبيه مع المستخدم أثناء تنفيذ عمليات الترجمة الآلية من قبل النظام، و عليه فإن مرودية هذه الأنظمة تتوقف على الحنكة اللغوية و المعرفة اللسانية الحدسية للمستخدم أو المترجم على وجه الخصوص و الذي تضع هذه الأنظمة بين يديه العديد من الاقتراحات و الشروحات و تتيح له بدلك أن يختار "المعنى" الذي يتوافق مع سياق النص المترجم.

3- مرحلة التحرير البَعدي (ما بعد الإصدار) Post-édition :

يُقدم فيها المستخدم على مراجعة مادة ما بعد الإصدار من خلال القيام بعمليات الحذف، الإضافة، أو قلب التعابير مثلا، و لا تتهاون الآلة في دعم مهمة المصحح، أثناء هذه المرحلة، من خلال الأدوات الإجرائية التي تضعها بعض الأنظمة تحت تصرف المستخدم كالقواميس، الموسوعات و معاجم المرادفات، بالإضافة إلى المصححات الإملائية و النحوية و غيرها من الأدوات المساعدة.

لقد عرفت الترجمة الآلية في بداياتها العديد من التسميات كمثلاً الترجمة الآلية المدعمة بالإنسان TAAH والمعروفة أكثر باسم" "الترجمة المدعمة بالآلة" TAO، أو الترجمة الآلية المدعمة TAA و التي لا يمكن أن تتم إلا بتدخل الإنسان، مقابل "الترجمة الآلية المحضة ذات الجودة

العالية" [1] TEABQ و التي تتم بشكل آلي محض، كما تدل عليها التسمية، دون أي تدخل بشري. و أيًّا كانت التسمية التي تشتهر بها الترجمة الآلية أو المرحلة التي تستلزم فيها تدخل العامل البشري، فإن تصنيف الأنظمة في الترجمة الآلية يتوقف على جملة من العوامل التي تحدد عمومًا انتماء هذه الأخيرة إلى فئة دون سواها، كمثلا عدد اللغات المعالجة و اتجاهات الترجمـــة، إذ لا بد من التمييز بين الأنظمة الثنائيـــة اللغة و الأنظمة المتعددة اللغات، و تلك التي تعمل في اتجاه واحد و الأخرى التي تعمل في اتجاهين.

بإضافة إلى عدد اللغات المعالجة، هناك عامل آخر يتمثل في مستخدمي هذه النظم "**فالترجمة الرصدية و التنقيحية هي آلية تمامًا تخضع فيما بعد لكم معين من المراجعة و التنقيح، أما تلك الموجهة للمترجم فالإنسان هو الذي يترجم بمساعدة برامج الحاسب المخصصة لذلك و تلك الموجهة للمؤلف فهي آلية تتم بمساعدة الإنسان بشكل تخاطبي مع نظام الترجمة الآلية**"[2] .ضف إلى ذلك أن الطرق العامة المستخدمة في بناء و تصميم هذه الأنظمة تعد من العوامل الأساسية في التصنيف، و قد أطرأت ثلاثة أجيال من النظم التي تترتب كالتالي:

III.1.3.**أنظمة الترجمة المباشرة : (Système - direct)**

تمثل أنظمة الترجمة المباشرة الجيل الأول من أنظمة الترجمة الآلية ، و هي تقوم أساسًا على التقابلات اللفظية و المقارنة المعجمية المباشرة لكلمات قاموس ثنائي اللغة، وعليه، فإنها تفتقر لأدنى الخطوات التحليلية و لأبسط المراحل الانتقالية في العملية الترجمية، و تشير "بييرات بويون" إلى هذه النقطة في صميم حديثها عن هذه الأنظمة و ذلك في قولها:

---

[1] يعد نظام TAUM - METEO من أبرز الأنظمة الثنائية اللغة التي تترجم بين الإنجليزية و الفرنسية و هو نظام تم تطوير في جامعة موريال بكندا بغرض ترجمة النشرات الجوية المحلية. أما فيما يخص الأنظمة المتعددة اللغات فيعد نظام EUROTRA من المشاريع البارزة في حقل الترجمة الآلية و الذي قامت بدعم فكرته مجموعة دول السوق الأوربية المشتركة و ذلك ابتداء من سنة 1972 و هي السنة التي انبعثت فيها العديد من المشاريع المشابهة و التي تمخضت في الثمانينات و التسعينات عن إنتاج العديد من الأنظمة المرموقة كنظام « TAO » الفرنسي و نظام « MU » الياباني، لأكثر تفاصيل عن « TAUM- METEO » و EUROTRA ينظر على التوالي :

−Isabelle. P : « Machine translation at the TAUM - Group », in M. King (éd.), machine translation today : The state of art, proceedings of the fourth Lugano tutorial. Edinburg university Press P 247-277.

− Maegaard, B et Perschke. S: "General system design", machine translation, vol 6, PP 73-82.

[2] Voir, Homeidan Abdullah « Machine translation » Journal of king Saud university vol 10. 1998- PP.10-12.

« Les systèmes directs، les premiers en date، sont conçus pour une seule paire de langues et son unidirectionnels. Ils sont fondés sur des listes d'équivalence terme à terme et n'analysent pas le texte source plus qu'il n'est nécessaire pour produire sa traduction »[1] .

و عليه، فقد كان من الضروري تصميم أنظمة آلية تعتمد على نماذج لسانية أكثر تطورًا و على طرق آلية غير مباشرة تسمح بمعاينة النص الأصلي و تحليله بشكل عميق بغية توليد نص يحترم خصوصيات اللغة الهدف و ينقل معاني اللغة المصدر، و من ثمة ظهرت أنظمة الجيل الثاني و الثالث و المتمثلة في أنظمة الترجمة باستخدام اللغة الوسيطة و الترجمة التحويلية.

III.2.3.أنظمة الترجمة باستخدام اللغة الوسيطة : (Système à interlangue)

تعد أنظمة الترجمة باستخدام اللغة الوسيطة من أقدم نماذج الترجمة الآلية غير المباشرة التي ظهرت في بداية السبعينات، و هي أنظمة تلجأ في معالجة النص المصدر إلى استخدام تمثيلات وسيطة يكمن دورها في شرح المعلومات الغامضة التي تعتري التراكيب اللغوية، بالإضافة إلى إبراز و إيضاح ما يتمنع عن الترجمة، معنى هذا الكلام، أن هذه الأنظمة تعتمد على لغات وسيطة تقوم بتمثيل المعنى بشكل تجريدي في لغة حيادية مشتركة بين أكثر من لسان و عليه، فإنها تنجز عملية الترجمة في مرحلتين أساسيتين : الأولى تتمثل في ترجمة النص من لغة المصدر إلى اللغة الوسيطة، و الثانية تقوم فيها بالترجمة من اللغة الوسيطة إلى اللغة الهدف، أي أنه يتم نقل البنى و النماذج الممثلة في اللغة الوسيطة إلى بنى و تراكيب إحدى اللغات الطبيعية المستهدفة.

إن هذا النوع من الأنظمة يتمتع بالعديد من المزايا كحيازته مثلا على برنامج تحليل يضم جملة من المراجع المعرفية، بالإضافة إلى معاجم وقواعد نحوية خاصة باللغة المصدر و قواعد إجرائية تزاوج بين الخصائص التركيبية، البنيوية و بين نموذج من المجال الذي تتم فيه الترجمة[2]. وتتعد هذه البرامج التحليلية بتعدد اللغات التي يشتمل عليها النظام، و يتوافق عددها

---

[1] Pierrette Bouillon, André Clas : La traductique, page 16.

[2] Nirenburg Sergei, « L'inter langue et le traitement du sens dans les systèmes de traduction automatique » in « La traductique », Pierrette Bouillon et André Clas, Montréal, publication universitaire, 1993, page 91-107.

طردًا مع عدد برامج التوليد الخاصة باللغات الهدف، حيث يكون باستطاعة أي برنامج لتحليل اللغات المصدر أن يرتبط مع أي برنامج لتوليد إحدى اللغات الهدف بفضل المرور بالتمثيل الوسيطي، و من ثمة، فإن إضافة لغة جديدة لا يتطلب سوى إنشاء برنامجين لا غير و رغم أن العملية تبدو سهلة للوهلة الأولى، إلا أن الأمر لا يخلو من التعقيد، إذ أنه يصعب في الكثير من الحالات وضع تعريف محدد للغة الوسيطة، حتى بالنسبة للغات التي تنتمي إلى نفس العائلة اللغوية، كاللغات اللاتينية (الفرنسية، البرتغالية، الإسبانية...إلخ)، ذلك أنها تحمل في طياتها الكثير من الاختلافات و على شتى المستويات، لهذا السبب بالتحديد، اتجه الباحثون إلى فكرة إنشاء لغات وسيطة مختلفة لكل عائلة من العائلات اللغوية، ولتجاوز الحواجز و العقبات اللسانية و المعرفية الناجمة عن هذه الأنظمة، فقد تضافرت الجهود للبحث عن حلول جديدة، فكان مولد الجيل الثالث من الأنظمة الآلية و المتمثلة في أنظمة الترجمة التحويلية و التي تنتمي كسابقتها إلى طرق الترجمة الآلية غير المباشرة[1] .

III.3.3.أنظمة الترجمة التحويلية:

تنتمي أنظمة الترجمة التحويلية – كما سبق و أن ذكرنا – إلى أنظمة الجيل الثالث، و هي أنظمة تقوم بعملية الترجمة مرورًا بثلاثة مراحل أساسية، عِوَض مرحلتين – كما هو الحال في نظام الجيل الثاني، حيث يتم في المرحلة الأولى و التي تعرف بمرحلة **التحليل** قلب لغة النص المصدر إلى تمثيل أو بنيات وسيطة، و هي بنيات مستقلة بشكل تام عن بنيات لغة الوصول، أي أنها محايدة لأي لغة من اللغات المستهدفة، هذا، في حين أنه يتم في المرحلة الثانية، مرحلة "**التحويل**"، تحويل اللغة الصناعية إلى البنية الوسيطة المكافئة لها في اللغة الهدف، ليتم في المرحلة الأخيرة **توليد** النص الهدف النهائي انطلاقا من البنية الوسيطة الهدف الممثلة له.

ولا يفوتنا أن نشير في هذا الصدد، أن المعالجة الآلية في هذا النوع من الأنظمة تتم عن طريـــق "الوصف اللساني"[(*)] للغة المصدر، كوصف المعجم مثلا و دلالة الألفاظ، بالإضافة إلى

---

[1] حمد بن عبد الله حميدان، المرجع السابق صفحة 40.

[(*)] فعلى الرغم من أن السيميائيات في السبعينات كانت في أيامها التنظيرية الأولى، إلا أنها سامت إلى جانب المقاربات اللوغارتمية في تصميم العديد من الأنظمة التحويلية ذات برامج المعالجة التركيبية (كنظام METAL, LOGOS)، علما أن أنظمة التحويل الحديثة (مثل CRITTER, BABEL) كثيرا ما تتعدى هذه المعالجة مقابل الرجوع إلى بنوك المعلومات و المعارف العامة أو مجال تخصص الترجمة.

القواعد النحوية التي تشرح كيفية اجتماع الألفاظ ببعضها البعض لتشكيل جمل صحيحة من الناحية التركيبية، ولعل من أهم مساوئ هذه الأنظمة هو أن إضافة لغة جديدة لا يتطلب فقط إضافة برنامجي التحليل و التوليد و إنما يشترط أيضا إضافة برنامج تحويل ثنائي، و عليه فإن إضافة لغة جديدة لنظام يحوي مسبقًا على لغتين أخرتين، يفرض بالضرورة إضافة برامج التحويل و التوليد الخاصة بهذه اللغة، بالإضافة إلى أربعة برامج تحويل ثنائية.

و على الرغم مما يعاب على هذه الأنظمة إلا أنها غالبًا ما تفضل على أنظمة الجيل الثاني التي تعاني من مشكلة تحديد تعريف اللغة الوسيطة الشاملة، بالإضافة إلى العراقيل الجسمية التي تواجه العلماء في تصميم و برمجة عمليتي التحليل و التوليد التي تتعامل مع تمثيلات مجردة مستقلة في بناءها عن كلتا اللغتين سواءً المصدر أو الهدف.

أما عن حدود المفارقة و نقط الالتقاء بين هذه الأنواع الثلاثة فيلخصها "حمد عبد الله بن حميدان" في قوله "**يمكننا الملاحظة من وصف الأنواع الثلاثة في الترجمة الآلية، المباشرة و الوسيطة و التحويلية، أنها كلها تقوم بشكل أو بآخر على ثلاث مراحل : التحليل و التحويل و التوليد. ومن الفروق بينها تكمن في عمق معالجة النص و في الأحجام النسبية التي تأخدها كلا من المكونات الثلاثة في كل من الأنواع الثلاثة في الترجمة**"[1]. أي أن درجة التعقيد، في المراحل الثلاثة، تختلف من نظام لآخر.

إن نوع المعلومة التي تستخدمها هذه الأنظمة في إشغالها، تعد من أهم معايير تصنيفها، حيث أن أغلبها يعتمد على "المعطيات اللسانية" (فونولوجية، تركيبية ودلالية) و على المدونات المزدوجة اللغة لتتم الترجمة، في هذه الحالة، بشكل تقابلي أو تناظري، أي كلمة مقابل كلمة، و جملة مقابل جملة أخرى، هذا في حين أن البعض الآخر، و هو النوع الأكثر ندرة يوظف المعلومة "غير اللسانية" و التي تتجسد في شكل نماذج لترجمان سبق تخزينها في الذاكرة الآلية أو معارف عامة عن العالم، و من ثمة فإنها تبحث للجملة المصدرية عن مماثل في بنك المعلومات لتسوق لها ترجمة مكافئة على طراز ترجمة الجملة النموذج، أي أن هذه الطريقة تعتمد على بناء قاعدة معلومات لنصوص متقابلة في لغتين أو أكثر سبق أن قام الإنسان بترجمتها مرفقة بكافة

---

[1] حمد عبد الله الحميدان : المرجع السابق ص 43.

المعلومات اللسانية الناتجة عن عمليات التحليل الصرفية و القوا عدية و الدلالية لكل اللغات المتضمنة في النظام.

ولعل من أبرز المقاربات الحديثة التي قصفت بالمقاربة اللسانية الكلاسيكية، هي المقاربة الإحصائية التي أصبحت من أهم أدوات المقاربة التحليلية في معالجة الترجمة الآلية لنصوص اللغات الطبيعية.

4.III. المقاربة الإحصائية في الترجمة الآلية :

إن فكرة تطبيق المنهج الإحصائي في الترجمة الآلية هي فكرة قديمة تضرب بجذورها في عمق أولى المحاولات الآلية في الترجمة و المستوحاة من فكرة الكريبتوغرافيا، إلا أن الإمكانات الآلية و التحفظات النظرية أنداك، أدت لسوء الحظ إلى العزوف عن تبني هذه الطريقة في المجال العملي، و استمرت الحال على هذه الوتيرة إلى غاية أن أثبتت هذه المقاربة نجاعتها في مجال تحليل الكلام و ضبط قواعده، و يعود الفضل في إعادة بعثها من جديد في حقل الترجمة الآلية إلى كل من "بيتربراون" (Peter Brown) و فريق عمله، وذلك سنة 1988.

يتم استثمار المنهج الإحصائي في الترجمة الآلية من خلال المعالجة اللسانية لكم من النصوص التي تنتمي إلى مجال معين ملحقة بترجماتها، إذ يتم تخزين المعلومات الإحصائية الخاصة بالمواد اللغوية و ذلك في شكل جداول إحصائية تتقابل فيها مكونات النصوص المصدر مع مكونات ترجماتـــها في مدونات مزدوجة اللغـــة تعكس مختلف الاحتمالات الواردة في الترجمة و يشرح "حمد عبد الله بن حميدان" هذه الظاهرة في قوله : "**يتم تشكيل جداول إحصائية لكل زوج من اللغات تحتوي على احتمالات ترجمة حروف و كلمات و أشباه جمل و جمل اللغة المصدر بمقابلاتها في اللغة الهدف. فأثناء الترجمة الآلية القائمة على القواعد اللسانية لنص ما من هذه العائلة من النصوص، و في حال وجود ازدواجية المعاني يتم ترجيح الترجمة التي احتمالها أكبر في الجداول الإحصائية**"[1]. ضف إلى ذلك أن الأنظمة القائمة على المقاربة الإحصائية هي أنظمة أنالوجية أو تناظرية تعتمد في اشتغالها على معطيات معرفية تم تخزينها في شكل ترجمات شهيرة أو نماذج عامة ليتم، عن طريق التكافؤ، إنتاج الترجمة الآلية المناسبة أو بالأحرى استنتاجها حسب ما ترجح إليه الكفة الاحتمالية في الميزان الإحصائي.

---

[1] حمد عبد الله بن حميدان : المرجع السابق صفحة 48.

هكذا، و بمساعدة الأنظمة الحسابية و الإحصائية يتم تسجيل القواعد و القوانين النحوية، إضافة إلى التكافؤات التركيبية و الدلالية الخاصة بزوج معين من اللغات، و هذا بالتحديد ما تشرحه "لورونس جاكمان" (Laurence Jacqmin) في إطار وصفها لعمل الفرق التي تقوم باستثمار المدونات المزدوجة اللغة على مستوى الدعائم الآلية (Supports informatiques) :

« Ces équipes considèrent que les corpus décrivent aussi bien، quoique différemment d'une réelle grammaire، les lois grammaticales et les équivalences pour une paire de langue donnée. Il suffirait donc de pouvoir rapprocher le texte source d'un extrait du corpus pour en déduire sa traduction »[1].

إن الأنظمة الآلية التي تقوم على الإستراتيجية الإحصائية هي أنظمة تلحق الكلمات باحتمال تردد معين في إطار سياق محدد، انطلاقا من دراسة المدونة القاعدية الأحادية اللغة، و باحتمال تكافؤ ترجمة انطلاقا من دراسة المدونة المزدوجة اللغة، حيث يفيد تحديد الاحتمال الأول في عملية التحليل، في حين أن تحديد الاحتمال الثاني يفيد في عملية النقل و الترجمة، فعلى سبيل المثال يمكن لأداة التعريف الإنجليزية « The » أن تترجم إلى الفرنسية بـــ « Le » باحتمال 0،610 مثلا و إلى « La » باحتمال يقدر بـــ 0،178 أو لكلمة « Dans » الفرنسية أن تترجم إلى الإنجليزية بـــ « in » باحتمال 0،73 أو « into » باحتمال 0،19 .

و على عكس النظم الكلاسيكية المستخدمة في الترجمة الآلية، فإن هذه الطريقة المنهجية في بناء الأنظمـــة الحديثـــة، تجنب من استخدام ميكانيزمات وسيطة أو ما يعرف بالتمثيلات الوسيطـــة و التي تتم في لغات مجردة بغرض تشفير النص الأصلي في لغة شاملة و مشتركة، مع كل ما تطرحه هذه العملية من مشاكل و تعقيدات، و عليه فقد حققت هذه المقاربة نتائج لا تقل أهمية عن نظيراتها من حيث المردودية، ولا يزال العمل بها متواصلا بغية النهوض أكثر بالقواعد الإجرائية التي من شأنها أن تسمح بممارسة آلية أكثر تطورًا في مجال الترجمة سواءً من خلال التحسينات النوعية أومن خلال الإضافات الكمية.

---

[1] Laurence Jacqmin : « Classification générale des systèmes de traduction automatique », in « Traductique », Babel Research, université libre de Bruxelles, Belgique, page 50.

III.5.الترجمة الآلية للأدب : بوتقة التفاعل بين الترجمة الآلية و الأسلوبية الإحصائية

تعد الآلـــة و الإحصـــاء من العناصر الأساسيـــة المشتركة في مجموعة تقاطع الترجمة الآلية و الأسلوبية الإحصائية، علمًا أنه يتحتم على هذه الأخيرة، من حيث هي ممارسة أسلوبية، أن تتفحص آليات اشتغال الفن الكلامي و تحلله، و من حيث هي أدبية، أن تضبط و تعين تراكيب التحديدات اللغوية للأدب، و لتحقيق هذا المسعى تكون، بطبيعة الحال، كل الأدوات المتجددة في علوم اللغة، و الإحصاء، و الإلكترونيات مطلوبة في الجوهر وخاضعة لخطة عمل مشتركة تتم بناءً على مناهج خاصة. و لأن الأسلوبية الإحصائية تعد بمثابة الجسر الذي يربط الأدب بالآلة، فبمقدورها أيضا أن تفتح مجالا للتواصل الآلي بين الترجمة و الأدب، و أن تسهم من خلال الدراسات الإحصائية و التحليلات الأسلوبية المقارنة في تنقيح أسلوب ترجمات النصوص الأدبية بما يكافؤ أصل أسلوبها في لغة المصدر مستفيدة بذلك من مختلف الأدوات الإجرائية، الإحصائية، اللغوية و المعرفية التي تسخرها أنظمة الترجمة الآلية بما فيها تلك التي تعتمد على المقاربة الإحصائية في الترجمة.

إن فكرة الترجمة الآلية للنصوص الأدبية، هي فكرة أوطوبية إلى حد كبير، و تبقى لحد الساعة بعيدة كل البعد عن عتبة الجودة الدنيا، و السبب يعود، دون أدنى شك، إلى طبيعة الخطاب الأدبي في حد ذاته، و إلى اتساع هوة المفارقة الإيديولوجية بين الخلق الآلي و الخلق الإبداعي، إذ أنه يصعب على الآلة تقليد كل العمليات الذهنية و الفكرية التي يقوم بها الإنسان، ضف إلى ذلك أن عملية الترجمة الأدبية، بشكل خاص، هي عملية تتفاعل فيها الكثير من المداخلات التاريخية الاجتماعية و الثقافية و حتى المزاجية، و إذا كان المترجم البشري في حدّ ذاته قلما يبدى استحسانا إزاء الترجمات التي يقوم بها هو نفسه، فمن المستحيل أن نتصور برنامجًا حاسوبيًا يمكن أن يرضي الجميع، فالبشر يختلفون في فهمهم لنص معين، لذا فمن باب أولى أن تعجز الآلة عن فهم هذا النص و التعبير عنه بلغة أخرى.

إن ما يتطلع إليه الباحثون في هذا المجال ليس تحقيق ترجمة آلية محضة، و إنما تصميم أنظمة خبيرة بإمكانها النهوض بمراحل الممارسة الآلية للترجمة الأدبية، و إذا كان من الصعب خلق أنظمة عالمية قادرة على "الفهم" فإن خصوصية هذه الأنظمة تكمن في أنها لا تحاول فهم كل التعابير الواردة في كل اللغات الطبيعية، و إنما البحث في الذاكرة المعلوماتية إن كان قد سبق لها أن ترجمتها، فإن كان الأمر كذلك فإنها تكتفي باستبدالها، و إن لم يكن قد سبق لها أن

ترجمتها، فإنها تبحث لها في هذه الحالة عن ترجمة شبيهة أو تقريبية، و ذلك من خلال إجراء حساب إحصائي، انطلاقا من النصوص التي سبق ترجمتها.

تعد مجموعة GETA (Groupe d'Etudes pour la Traduction Automatique) من أهم المجموعات التي تنشط على أعلى المستويات في مجال الترجمة الآلية، و ذلك منذ تأسيسها في جرونوبل (Grenoble) سنة 1962، حيث تتجه معظم انشغالات هذه المجموعة نحو خلق نماذج معلوماتية و لسانية متطورة تسمح بانجاز ترجمات من و إلى لغات متعددة، بالإضافة إلى محاولة تذليل العقبات الآلية و اللسانية و فتح المجال أمام الباحثين لدراسة الأسلوبية الإحصائية في إطار تفاعلها مع نظم الترجمة الآلية، و بالفعل تم الاشتغال على العديد من الأدباء و الشعراء الفرنسيين الكبار، من بينهم "فيكتور هيجو" و "موليير".[1]

و على عكس الأنظمة الكلاسيكية، فإن هذا الجيل الجديد من الأنظمة المستخدمة في الترجمة الآلية بإمكانه أن يفيد مترجم الأعمال الأدبية، خاصة إن كان هذا الأخير يهتم بترجمة أعمال نفس الكاتب أو نفس الحقبة الزمنية أو نفس الجنس الأدبي، و في حالة ترجمة كتاب واحد، فإنه لا يقوم إلا بترجمة الجزء الأول منه فقط، و يخضع بقية الأجزاء للترجمة الآلية، و هي عملية تضمن، لا محالة، التناسق السياقي في العمل المترجم[2]. هنا بالتحديد يبرز دور الأسلوبية الإحصائيـــة في حل شق واسع من أوجه إشكاليـــة "الأدبية المّمَكْنـــة" من خلال التقويم الأدبي و الإحصاء الرقمي لخصائص أديب معين و نمذجتها إلكترونياً بشكل يسمح للنظام الآلي بالتعرف على أسلوب الرجل و ضبط مقاييس محددة في ترجمة أعماله سوءً على المستوى البشري أو على المستوى الدلالي، فالبنية اللغوية، التركيبة الدلالية و كذا المدونة المعجمية لمؤلف ما هي من أهم العناصـــر التي تحيل على أسلوبه المتفرد، و على الانتمـــاء الاجتماعي و الثقافي للشخصيات الحبرية التي تنطلق كل منها بخطاب ينبئ عن مستوى لغوي معين، و من ثمة تصبح من أوليات المترجم احترام هذه اللغة الأدبية باختلاف و تنوع مستوياتها، و لا يتأتى

---

[1] Boitet, C : « Méthodes sémantique en traduction automatique », traduction automatique information, n°1, 1976, p3-42.
Voir aussi ; Boitet, C : « TAO personnelle et promotion des langues nationales » in Turjumân, Revue de traduction et d'interprétation, Ecole Supérieur - Roi Fahd de traduction, Tanger, 1992, p 35-49.

[2] Katharina Bosefeld : L'utilisation d'outils informatique en traduction Littéraire : Des aides et non substituts - TURJUMAN - n° 02 - université Abdemalek Essaâdi - Ecole Supérieur Roi Fahd de traduction - Tanger 1996, page 76.

له ذلك إلا من خلال تبني منهج نقدي و موضوعي من شأنه أن يحدد له لغة النص، و يرسم أمامه ملامح شخصياته، خاصة إن كان هذا النص من جنس الرواية أو المسرح و الذي تختلف فيه البيئة الاجتماعية للشخصيات و تختلف معها مستويات اللغة المنطوقة و المكتوبة عند المتحدثين.

بهذه الطريقة، و استنادًا إلى المناهج القياسية و المبادئ الأساسية لدرس الأسلوبية الإحصائية سيكون بوســـع المترجم الآلي فك بعضًا مما قد يظـــهر من طلاسم ازدواجية المعنى أو تعدده، و اختيار مفردات أو عبارات دون غيرها بفضل الرجوع إلى معاينة السمات و الخصائص الأسلوبية المؤلف في لغة المصدر.إن استخدام الوسائل المعلوماتية في الترجمة، كان يفتقر في بداياته إلى الكثير من المقومات و من أهمها الكفاءات اللسانية و التي عجزت الأنظمة الأوتوماتيكية عن تحقيقها على أكثر من صعيد، فالمقارنات اللغوية حينها كانت خالصة في مجال التاريخ و الفلسفة، و تقترب من العلم بفضل الوصف و التحليل المنهجيين لا غير، وبقي حقل الترجمات الأدبية هو الحقل الوحيد الذي لم تعرض له هذه الأنظمة الآلية، ولم تشمله تطبيقاتها، وذلك بسبب الاعتقاد الخاطئ الذي ساد آنذاك و الذي يدعى أن الآلة لا يمكن أن تفيد الترجمان الأدبية بأي شكل من الأشكال، ليتبين بعد مرور عشرين سنة "**أن الترجمة الآلية التي بدأت من أجل هدف متواضع هو صناعة نسخ ضخمة لبعض النصوص التقنية التي يستفيد منها المختصون، أسهمت شكل كبير في إضاءة "مفهوم الأسلوب"، بما في ذلك الأسلوب الأدبي و ضم المعلوماتيون جهودهم إلى التجربة الجديدة لتقنيي الترجمة الشفوية الفورية، ليعيدون التفكـــير في آليـــات التعبير الشفوي بمساعدة اللغويين**"[1] لتتعدى بذلك مصطلح الأدوات الآلية و الإمكانيات المعلوماتية في مجال الترجمة الأدبية، حدود الترجمة الآلية المحضة أو المدعمة من قبل الإنسان، و تترسخ بذلك تقاليد المجازفة العلمية في شبكة العولمة الفكرية لخدمة القيم الإنسانية، و من ثمة فيمكننا اليوم أن **نَسند للآلة مهمات أكثر حقة، في نظر المقارنين، أصبح لتبادل القيم الشعرية و الجمالية بين أمة وأخرى، و الاتصال بين الثقافات من خلال اللغة، أهمية كبيرة لا يمكن معها الاستهانة بمساعدة الآلة في الترجمة**"[2] .

---

[1] بيير برونيل، كلود بيشوا، أندريه ميشل روسو "ما الأدب المقارن ؟ " ترجمة غسان السيد : المرجع السابق ص 167.

[2] المرجع نفسه، صفحة 168.

III.6.الرهانات السيبرنيطيقية في مجال الترجمة الأدبية :

إن من أهم الإنجازات المعلوماتية التي تحققت في غضون السنوات الأخيرة، هي إمكانية تبادل المعلومات (النصوص، الصور، الأصوات) من جهاز كمبيوتر لآخر بواسطة جهاز اتصال (Modem) و برامج متعددة (Logiciels)، و أجهزة خاصة من خلال شبكة الهاتف، و هذا ما يعرف بـــ « Information Highway » و التي تجسدها الانترنت، إذ أنه لم يعد بإمكان المستخدم الحصول على كل الخدمات المقدمة من قبل الانترنت فحسب، بل و أيضا الإطلاع على ما ينجزه الآخرون في ربوع العالم و الاستفادة من تجاربهم الخاصة.

تقدم الانترنت حاليًا خدمات عديدة و إمكانيات معلوماتية ضخمة تضعها تحت تصرف المترجم و هي نسبيًا في متناول الجميع و سهلة الاستعمال، إذ تمكنه من خلال البريد الإلكتروني مثلا من الاتصال بدور النشر و الكتاب، خاصة كتاب الأعمال الأدبية والاستفسار عن سياقاتها التاريخية، الثقافية و علاقتها بحياة المؤلف،وبالرغم من هذا، فإن التطور المهول الذي عرفته وسائل الاتصال و الإقبال الواسع على الشبكات زاد في ارتفاع الطلب على الترجمات في مختلف مواقع الشبكة و في مختلف التخصصات، و لسوء الحظ لا يمكن للترجمة البشرية أن تلبي كل الطلب، من ثمة كان لا بد من الرجوع إلى آليات الترجمة الأوتوماتيكية التي توفر المال، الوقت و الجهد، و إذا كان المشكل لا يطرح بشكل كبير على مستوى النصوص المتخصصة، فإنه على مستوى النصوص الأدبية يبلغ ذروته، لهذا السبب بالتحديد لا بدّ لجهود اللسانين، الأدبيين و الإعلاميين أن تتكـــاتف لخلق برامج آلية حديثـــة تقلص من حدّة الإشكال و تنهض بترجمة هذا النوع من النصوص، و بالطبع فإن بلوغ الهدف هنا، لا يتأتي إلا باستثمار أحدث التقنيات الإلكترونية و الأدوات الآلية التي يتم تطويرها و معالجة أنظمتها و طرق اشتغالها و فق مبادئ التنمية السيبرنيطيقية[1] التي تسعى كعلم جديد يقوم على أسس رياضية إلى

---

[1] ينحدر مصطلح « Cybernétique » في اللغة الفرنسية عن الأصل اليوناني « Kubernêsis » و الذي يعني بالتحديد « action de manœuvrer un vaisseau » أي "فعل قيادة السفن، أما معناه المجازي فهو " فعل التوجيه أو التحكم". استخدم هذا المصطلح لأول مرة في النصف الأول من القرن التاسع عشر من قبل العالم الفرنسي الشهير "اندريه أمبير" (André AMPERE) في معرض وصفه لطريقة الحكم التي كانت تتبعها الحكومة الفرنسية آنذاك للوصول إلى هدف محدد مسبقا. أما المعنى المتعارف عليه حاليا فيعود الفضل فيه إلى كتاب "نوبارت و ينر" (Nobert Wiener) الموسوم ب: "السبرنتيك أو علم التحكم و الاتصال في الآلة و الحيوان" (1948)

«Cybernetics or control and communication in the animal and the machine»

والذي بين فيه أن عمليات الاتصال و التحكم و نقل المعلومات في الإنسان والآلة هي عمليات متشابهة.

الإلمام بكل الظواهر التي تعمل بطريقة أو بأخرى على تحريك ميكانيزمات المعالجة المعلوماتية، و بخاصة تلك التي تتعلق بأحداث الأنظمة الآلية التي تعتمد في اشتغالها على مبادئ مشابهة لمبادئ اشتغال الجهاز العصبي عند الإنسان، و هي بالتالي تمثل أحدث الأنظمة الصناعية الذكية التي تقوم باستثمار المعلومة، توظيفها و تحويلها، فأنظمة الترجمة الآلية مثلا تعمل حسب قواعد معينة وانطلاقا من معلومات و معطيات مسبقة.

و السبرنطيقا كدراسة علمية دقيقة تتعامل مع الآلات باعتبارها أنظمة مادية تقوم بعمليات معقدة، طبقا لجملة من المعطيات، دون أي تدخل بشري، و بشكل يسمح لهذه الأخيرة من إنتاج معلومات جديدة انطلاقا من معطيات أولية أو من خلال برامج معينة تتجسد في سلسلة من التعليمات المتعاقبة و فق ترتيب معين. و من ثمة يمكن القول أن "معالجة المعلومة" و تحليل ميكانيزمات التنظيم و التعديل الآلي وبالتالي المراقبة و التجديد المتواصلان لهذه الأنظمة، هي ما يتصدر قائمة انشغالات البحث السبرنطيقي "كعلم يتكفل بدراسة التصرفات الآلية، و عليه فإنه يسمح بتطوير تناظرات في مجال بناء أنظمة الترجمة الأدبية (المساعدة)، بالرجوع إلى مبادئ اشتغال العديد من الأنظمة الأخرى، كالأنظمة البيولوجية، الأنظمة الاجتماعية أو الأنظمة العصبية، و جمعها في وعاء نظري مشترك يتيح دراسة منطق اشتغالها، وسيخر القاعدة التجريبية الصلبة التي من شأنها بحث و إنعاش طرق التفكير الآلي لأنظمة الترجمة.إذ تعد السبرنطيقا علما تتقاطع عنده العديد من العلوم ان لم نقل كلها، فهو أول علم اهتم بدراسة عمليات الاتصال(أي تلقي المعلومات و استيعابها) و التحكم (أي استعمال هذه المعلومات لتوجيه العمل في نظام معين) في كل من الآلة و الكائنات الحية(بما في ذلك لإنسان) [1].

يعد "روس كيليان" (Ross Quillian) من المعلومتين الأوائل الذي اهتموا بمشاكل الترجمة الآلية إثر اشتغاله بمجال الذكاء الاصطناعي، و قد ركز بالدرجة الأولى على تطوير ميكانيزمات اشتغال الذاكرة الآلية محاولاً التقريب بينها و بين بنية الذاكرة البشرية، فاجتهد بمساعدة "عالم النفس « Allan Collins » (ألان كولينس) في وضع ما يعرف بالذاكرة الدلالية "التي تعد من أهم ما تمخض عن اقتران الإعلام الآلي بعلم النفس، في محاولة لإنشاء ذاكرة تستوعب جُلَّ المعارف البشرية وتجمع مختلف الأنظمة الخبيرة في نظام خبير واحد، ومن ثمة

---

[1] مظفر شعبان، سمير شعبان: السبرنتيك.فكر مبدع يجسد وحدة الطبيعة، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1991 صفحة 16-18 .

يتم تخزين المعارف التي تنتمي لمختلف المجالات المتخصصة في نفس النظام الآلي للترجمة"،[1] و لقد اقترح الباحثون في مجال الذكاء الاصطناعي (Nowelle et Simon) التمييز بين الذاكرة الإخبارية (Déclarative) و الذاكرة الإجرائية (Procédurale) حيث تجمع الأولى كل الخصائص و الوقائع المخزنة بشكل مباشر، كمثلاً "الكاناري هو طير"، "الطير له ريش" في حين أن الذاكرة الإجرائية فتخص الخصائص التي يمكن استنتاجها، كمثلاً أن "الكاناري له ريش" أي أن الذاكرة الإخبارية هي كلٌ منتهي، في حين أن الذاكرة الإجرائية تكاد تكون لا منتهية.

إن التجارب السيبرنيطيقية في مجال الأدب يمكن أن تغذي، بشكل أو بآخر، تجربة الترجمة الآلية للأدب، فلقد أثبت "ل. كوفينال" « L. Couffignal » أنه إذا ما تم إدخال خصائص أسلوبية متشابهة إلى حد ما مع الخصائص الأسلوبية التي تميز مؤلف معين في الآلة، فإن هذه الأخيرة تقوم بنسج نصوص على طريقة هذا المؤلف، و كان هذا الأخير قد قام بتجربة أدبية باستخدام آلة تدعى "كاليوب" (Calliope)، تم من خلالها إدخال معجم من 300 كلمة، ذات صبغة أدبية في الآلة، و قام أيضا بتسجيل قواعد نحوية و قواعد من التركيب النحوي، في ذاكرة الآلة، بشكـــل يسمح لها باختيار الكلمـــة المناسبة التي تتناسق نحويًا مع الكلمة التي قبلها و تعطي بالتالي جملاً ذات معنى، و صحيحة من الناحية النحوية. و هكذا، استطاعت الآلة إنتاج جمل سليمة، كانت تعبر عنها بنقطة.[2] و كان « Couffignal » قد ترك الآلة تعمل لمدة أسبوع، و بعد المراقبة، تبين أنها كانت تعمل بمفردها دون أي تدخل بشري حيث أعطت 150 نص، ومن بين هذه النصوص :

"Un doute agréable couleur de lotus endormi entretient la joie sur cette île montagneus (….)".

إن العلماء حاليًا يدركون جيدًا حدود الآلة مقارنة مع الإنسان و أن فعل الترجمة يَقتضي أكثر من المعارف اللغوية، و عليه فإن التركيز، بالدرجة الأولى، لا بد أن يكون على مستوى تنمية الأنظمة المعرفية للترجمة الآلية، و إذا كان التفكير في خلق "آلة ذكية" يبدو أمرًا صعب المنال،

---

[1] Voir M. Alain Lieury : « Méthodes pour la mémoire », Edition Dunod, Paris, 1996, pages 154-158.

[2] Encyclopédie universalis. CORTES ELASTI CITE, vol 5. « Cybernétique et art ».

فإن الفكرة لن تلبث أن تتحقق على أرض الواقع، فالأمر بتوقف هنا على التأسيس السبيرنطيقي الصحيح و مناحي مقاربته للفعل الترجمي.

الفصل الثاني

الأسلوبية الإحصائية-المبادئ و الإجراءات-

I. الأسلوبية – بوادرها و ارهاصاتها-

1.I.ماهيـــة الأسلوب:

1.1.I.تعريفه:

جاء في لسان العرب "لابن منظور": " **يقال للسطر من النخيل وكل طريق ممتد فهو أسلوب، فالأسلوب الطريق والوجه والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء... ويجمع أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، لأسلوب الفن، يقال أخذ فلان أساليب من القول أي أفانين منه**" [1].

فالمتحدث إذا ما نطق بخطاب في مناسبة ما، كان له أن سلك في بلوغ مبتغى رأيه والوصول إليه طرائق تعبيرية شتى، فتجده يطنب تارة في ذكر الشيء والتأكيد عليه، ويختصر تارة أخرى، فيفصح أحياناً ويُضمِن أحياناً، وذلك حسب ما تقتضيه طبيعة الحال ومجرياته.

إن اللغة هي لائحة مفتوحة من الخيارات التعبيرية، ومن ثمة يمكن القول إن "**الأسلوب هو خيار أو انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين. ويدل هذا الاختيار أو الانتقاء على إيثار المنشئ وتفضيله لهذه السمات على سمات أخرى بديلة** " [2].

معنى هذا، أن الأسلوب هو نوع من التفعيل الخاص للغة، حيث أنه يُقدِم من الاحتمالات المتاحة والإمكانات المتوفرة بعضاً، ويؤخر منها البعض الآخر، وعليه فإن جملة الخيارات التي قد يتبناها كاتب أو متحدث ما هي ما سيشكل أسلوباً يميزه عن غيره. ضف إلى ذلك أن هذا الخيار يكون تارة محكوماً بدوافع نفعية يقتضيها سياق الحال أو المقام، وتارة أخرى يكون ذي صبغة نحوية تفترضها الصيغة التعبيرية الخالصة[3].

---

[1] : ابن منظور: "لسان العرب" المطبعة الأميرية ببلاق. القاهرة. 1300هـ/ مصر: 456/1.

[2] : سعد مصلوح: الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية– دار الفكر العربي، القاهرة. 1984. الطبعة الثانية، ص 23.

[3] : المرجع نفسه، ص 23–25.

وعليـــه فإن حدود الشكل الأسلوبي ترسمه خطوط الاختيار، التركيب والانزياح، حيث أن اللغة لا تستقيم في استعمالها للمستخدم، إلا إذا ألّف بين ألفاظها وعباراتها من خلال بنيات تعكس نظام فكرها، وترتيب معانيها في منطق الناطقين بها. أما الانزياح فهو أيضاً يُعد ظاهرة أسلوبية تصف انصراف المنشئ أو المتحدث وعُدُولِهِ عن النسيج اللغوي المألوف بمسافة تشكل مساحة الخرق الأسلوبي الذي يُعد في حد ذاته سمة أساسية من سمات الخلق الإبداعي والإنشاء الأدبي[1].

لعل من أهم وأبرز تعريفات الأسلوب ما ذهب إليه "ريشله " ***(Richelet)***: " **تقال هذه الكلمة عند التكلم عن الخطاب، فالأسلوب هو الطريقة التي يتكلم بها كل شخص، لذلك هناك من أشخاص يكتبون. لكن بما أن هذه الطرق المختلفة من التعبير تنحصر في ثلاثة أنواع من المواد، الأول بسيط، والثاني رفيع بعض الشيء، والثالث عظيم وسام، هناك أيضاً ثلاثة أنواع من الأساليب بالنظر إلى هذه المواد، وهي البسيط والضعيف والسامي** "[2].

أما "بيار جيرو" ***(Pierre Guiraud)*** فيعود في تعريفه للأسلوب إلى تعريف"بيفون " ***(Buffon)***(*) للأسلوب، والذي يرى أن "**الأفكار تشكل وحدها عمق الأسلوب... لأن الأسلوب ليس سوى النظام والحركة، وهذا ما نضعه في التفكير (...) فالأسلوب هو الإنسان نفسه، ولذا لا يمكنه أن ينتزع أو يحمل أو يتهدم** "[(3)]، ويرى بيار جيرو (*)

---

[1] : في هذا الصدد ينظر بالتفصيل إلى نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب: الذي يعرض وبإسهاب إلى تحليل هذه العناصر الثلاثة في جزء كامل من الفصل الذي يخصصه لدراسة الأسلوب وذلك في إطار يعنونه بـــ "محددات الأسلوب" من الصفحة 156 إلى الصفحة 195.

[2] : جورج مولينية: "الأسلوبية " ترجمة بسام بركة، الطبعة الثالثة، المطبوعات الجامعية الفرنسية، فرنســـا. 1989، صفحة 106، وينظر بالتفصيل :.Richelet, Dictionnaire Française, Genève, 1680

(*)Georges-Louis Leclerc de Buffon (1707-1788) écrivain français du XVIII Siècle

[3] : المرجـــع نفسه، صفحة 131-134.

Cf. Georges-Louis Leclerc de Buffon

(*) من أبرز التعاريف التي وضعها "بيار جيرو" للأسلوب في الكتابة "الأسلوبية " في صفحة 109 التعريف الذي يقول فيه :

« Le style est l'aspect de l'énoncé qui résulte du choix des moyens d'expression déterminé par la nature et les intentions du sujet parlant ou écrivant ».

أن الأسلوب هو وجه الملفوظ، ينتج عن اختيار وسائل التعبير، وتحدده طبيعة المتكـــلم أو الكاتب ومقاصـــده. يبدو من خلال هذا التعريف أن " بيار جيرو " يدرجُ العديد من العناصر المتفاعلة من خلق وصفة أسلوبيـــة مميزة، مثل قصديـــة المؤلف والقناة التي يسلكها في التعبير عن تجربة أو إحساس معين، طبيعة الأثر الذي يَوَدُ إحداثه في نفسية المتلقي، سِنُّه، جنسه، مزاجه، انتمائه الطبقي ومهنته، نزوحه إلى توظيف طرائق تعبيرية معينة دون سواها.

وقد لا نجاوب الصواب إذا قلنا إن التعريفات الواردة عن الأسلوب سواءً عند القدماء أو المحدثين من الأجانب والعرب تتفق على أمر أساسي، وتتقاطع في نقطة واحدة تكمن في إلحاق مفهوم الأسلوب "بالمنشئ" أي الشخص الذي يجسد من خلال تعابيره المنطوقة أو المكتوبة جملة الخصائص الخطابية، بمختلف تجلياتها البنيوية والسيميائية، والتي لا تفتئ بدورها الإحالة إلى السمات الشخصية لهذا " المنشئ " في حد ذاته. ولكن هذا لا يمنع عن الأسلوب كونه نسقاً مشتركاً بين فئات الناس سواءً في الفن، المعمار، اللبس، أو حتى الطبخ، في إطار حقبة زمنية محددة أو ظروف جيو–اقتصادية معينة. هذا ناهيك عن أن الأسلوب عند "دي سوسير" هو الكلام، وعند "غوستاف غيوم " هو الخطاب وعند "لويس يلمسليف " هو النظام أو متن الخطاب أو الخطاب وعند " لويس يلمسليف " هو النظام أو متن الخطاب أو الجهاز اللغوي، وعند "تشومسكي" هو إنجاز لغوي، وعند "جاكسون" هو الرسالة.

2.1.I.أنـــواعه:

إن النصوص باختلاف أشكالها وتنوع مواضيعها، تصنف من حيث الانتماء الأسلوبي إلى علمية أو أدبية، والهوة بين الأسلوبين شاسعة، بدليل الخصائص العديدة التي تميز كل واحد منهما عن الآخر، ضف إلى ذلك أن الأسلوبية صفة يمكن أن تسود أي نص من النصوص فهي **سمات لغوية تمثلها مجموعة من الثوابت والمتغيرات، الأولى هي القواعد العامة التي تشكل نظام اللغة (تركيب الجمل، اسمية، فعلية، صفة وموصوف)**

Pierre Guiraud, Stylistique, Editions PUF, Paris 1967, P 109.

والثانية يتعامل معها المنشئ بأكثر حرية كالمفردات[1]. والأسلوب ينقسم إلى قسمين، علمي يتسم بالمنطق والوضوح، وعدم الإفراط في استعمال المجازات والمحسنات، وأسلوب أدبي يمتاز بالخيال الرائع والتصوير الدقيق.

I.1.2.1.الأسلوب العلمي ومميزاتـــه:

الأسلوب العلمي هو أسلوب مباشر إلى حد كبير، يصف الحقائق وظواهر معينة بصيغ وتعابير مترابطة فيما بينها بشكل منطقي، فيسمي الأشياء بأسمائها ويؤسس للنتائج انطلاقاً من أسبابها، ويُعدِدُ المراحل تبعاً لتسلسلها، أي أنه يتناول المعارف العقلية بشكل محدد ودقيق باستخدام مصطلحات وأرقام تفيد الاختصاص، دون أي تكرار أو إطناب في المعنى لتكون بذلك السهولة والوضوح عملته في تحقيق الغاية المتوخاة منه والمتمثلة في التعليم وإيصال المعرفة.

I.2.2.1.الأسلوب الأدبي ومميزاته:

وهو الأسلوب الذي يهمنا تحديداً في هذه الدراسة، والذي سنحاول تسليط الضوء عليه من جوانب شتى بغية الإلمام بمختلف الحيثيات التي من شأنها إزالة بعضاً من الغموض الذي قد يشوب المقاربة العلمية أو بالأحرى – الإحصائية– في الدراسة الأسلوبية للنصوص الأدبية.

على خلاف الأسلوب العلمي، فإن الأسلوب الأدبي يهتم بالتشخيص المنمق للعاطفة، ويهدف إلى إثارة الانفعال في نفس القارئ والتأثير فيه باستخدام صور خيالية، أو عن طريق تكرار المعنى الواحد وعرضه في عدة صور بيانية، سبيله في ذلك التفخيم والتعميم، الجزالة والقوة التي تعبر عن الأحاسيس الفياضة والعواطف الحيـــة.

إن الحديث عن الأسلوب الأدبي هو حديث عن إبداع شخصي متفرد بأتم معنى الكلمة: "**فالفن حدس، والحدس فردي والفردية لا تتكرر**" [2]. بمعنى أن الأسلوب ميزة في العمل

---

[1] : سعد مصلوح: الأسلوب– دراسة لغوية إحصائية، ص 39–40.

[2] : جورج مولينيه: الأسلوبيـــة، ص 73.

لأكثر تفاصيل ينظر أيضاً:

B. CROCE, Bréviaire d'esthétique, trad de G. Bougin, Paris, payot, 1923.

الأدبي وفي صاحبه، باعتبار العلاقة النفسية والجمالية القائمة بينهما والتي يتحقق عبرها نوع من الخلق الأسلوبي الفريد، وعليه فالأسلوب الأدبي "**هو كل شكل مكتوب علق به صاحبه مقاصد أدبية**" [1]. ومما لا شك فيه هو أن هذه المقاصد الأدبية أبعد من أن تتجسد عبر قوالب معيارية مضبوطـــة، ذلك أنها تشكل مشروع ممارسة حرية معلن لا يتأتى لبنائها الشموخ والارتفاع، إلا من خلال تلك الانجازات الفنية الخارقة التي تتأبى على العادة والمألوف اللغوي. وعليه فإن الأسلوب هو جوهر النص وروحه، يحل بكل شبر من بنائه، يرسم تفاصيل فكره ويفجر بين ثناياه معالم الأدبية وملامح الشعرية، من خلال التفاعل مع الموضوع، مكوناته البنيوية ومعطياته الدلالية.

وإلى جانب "الأثر" الذي يولده في نفس القارئ من انطباع جمالي ونفسي، نجد سمة أخرى في الأسلوب وهي "التكرار" الذي يتمثل في اكتشاف تفصيلي شكلي، أو عادة لغوية، أو خاصية كلامية، تلفت انتباه القارئ من حيث هي نغمة متكررة في العمل من جهة، ومن حيث هي ترتبط بانطباع المهيمن من جهة ثانية [2]. هذه الخصائص وغيرها من الميزات المصاحبة للكتابة الأدبية والصياغة الأسلوبية المتفردة هي بالتحديد ما يشكل مادة "الأسلوبية" أو ما يعرف بـــ "علم الأسلوب" أو "الأسلوبيات".

---

[2] : M. Riffaterre : Essais de stylistique structurale, trad. Daniel Delas, éd. Elammarion 1971, Paris, page 29.

2 : جورج مولينيه: الأسلوبية، ص89-92

3.1.I. اتجاهـــات الأسلوب وتياراتـــه:

إن المدارس الأسلوبية على تعدد مشاربها واختلاف منظريها قد أدلت كل منها بوجهة نظر معينة تحيل إلى تعريف الأسلوب على العلاقة الموجودة بينه وبين مؤلفه، وهناك من ركز على العلاقة الموجودة بين النص والمتلقي، في حين ألغى البعض الآخر وجود كل من المرسل والمتلقي وركز اهتمامه على النص في حد ذاته. فهذا "ميشال ريفاتير" يعتبر الأسلوب "**قوة ضاغطة تتسلط على حساسية القارئ... بحيث إن غفل على بعض العناصر تشوه النص، والعكس يبرز الأسلوب**" [1]. ومن ثمة يصبح القارئ بموجب هذا التعريف عنصراً أساسياً لا يتم الفصل في الدراسة إلا من خلاله وانطلاقاً من أحكامه.

يذهب الباحثون إلى إرجاع جميع الآراء التي عرفت الأسلوب إلى اتجاهات رئيسية ثلاثة هي:

- الأسلوب مفارقة من حيث انزياحه عن النموذج المعياري ومفارقة للنمط، وبالتالي فإن خصوصيته تظهر من خلال مقارنته بالنص النمط حقيقياً كان أم متخيلاً.
- الأسلوب إضافة كونه تعبيراً محايداً، غير متأسلب، مع أنه مجرد القول بوجود نص هو قول بوجود أسلوب معين.
- الأسلوب دلالة إيحائية (تضمينية) تربط القيمة الأسلوبية للوحدات اللغوية بيئية النص وسياقه، حيث يصبح التحليل الأسلوبي من هذا المنظور محاولة لكشف علاقة الدوال الأسلوبية ببيئتها النصية[2].

---

[1] : وهو تعريف استدل به سعد مصلوح في كتابه: الأسلوب: دراسة لغوية–إحصائية، صفحة 26.

[2] : نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، صفحة 152، وينظر بالتفصيل:
Nils Erik, Enkvist, « Linguistic stylistics », mouton 1973.

(*) Leonard Bloomfield(1887-1949) linguiste américain d'origine juive.En 1914 il a écrit *Introduction to the Study Language* qui sera tiré *Language* dans les éditions suivantes.Il est considéré comme le fondateur du distributionalisme.(Cf.Atrticle internet sur : http://wikipedia.org/wiki/Leonard_Bloomfield
Cf. Hockett Charles et Hall Robert: Leonard Bloomfield, essays on his life and work. Amesterdam ; John Benjamins Editions, 1987, p221-233.

كما تجـــدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن جهود تلامذة "بلومفيلد" ***(Bloomfield)*** صاحب المدرسة البنيوية السلوكية كُللت بالنجاح في مجال الدراسات الأسلوبية، بعدما كانت قد أعرضت في البداية عنها، شأنها في ذلك شأن المدرسة التحويلية التوليدية، حجتها في ذلك هو أن دراسة الأسلوب تتناول النص كاملاً، باعتبار أنه من الناحية اللغوية تعد الجملة أكبر وحدة للتحليل [1]. وخلاصة القول هو أن جل هذه التصورات والتيارات ساهمت بشكل أو بآخر في رصد خطة منهجية تسمح بالتمييز بين الأساليب وأنواعها بشكل موضوعي وعلمي.

I.2.الأسلوبيـــة:

I.2.1. مقدمة في نشأة الأسلوبيـــة:

إن أولى الإرهاصات التي ظهرت في مجال الدراسات الأسلوبية يعود الفضل فيها إلى جملة من العوامل التي مهدت الأرضية أمام نوع من الاستثمار اللساني للمدونة الأدبية، انطلاقاً من الثورة التي أطرأتها البنيوية، مروراً بالجهود التي اضطلعت بها مدرسة الشكلانيين الروس الذين أسسوا " مدرسة براغ " [2] (Ecole de Prague) وصولاً إلى جاكبسون الذي تتجلى اسهاماته الثرية في الموضوع من خلال مؤلفيه الموسومين على التوالي بـــ:

(1): دراسات في اللسانيـــات العامة: *Essais de linguistique générale، Paris، Minuit، 1963*

(2): مسائل في الشعريـــة *Questions de poétique، Paris، Seuil، 1973.*

يعود أول استعمال لمصطلح " الأسلوبية " سنة 1875 لـــ " فون درجابلنتس "، بعده يأتي " شارل بالي" [3] ليؤسس هذا العلم ويرسم قواعده المنهجية سنة 1902. أما عند

---

[1] : سعد مصلوح: الأسلوب: دراسة لغوية-إحصائية، صفحة 31-32.

[2] : تكونت هذه المدرسة سنة 1915 أي منذ وصل كارسفسكي تلميذ " دي سوسير" إلى موسكو، ونشر أفكاره في مجال تطوير مناهج الدراسة اللغوية التي كانت تخضع للمناهج التقليدية. من هؤلاء الشباب تربسكوي وجاكبسون.

[3] : باحث لساني من تلامذة " دي سوسير" المباشرين ولد بجنيف سنة 1865 وتوفي سنة 1947، نشر بالاشتراك مع سيشهاي كتاب أستاذه " دي سوسير" : دروس في اللسانيات العامة سنة 1916، من أهم مؤلفاته:

1- مصنف في الأسلوبية الفرنسية (1909) Traité de stylistique française

2- اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية (1932) linguistique générale et linguistique française

العرب فقد حقق " عبد السلام المسدي" السبق في نقل هذا المصطلح والدعاية له في ساحة البحث اللساني والنقد الأدبي العربيين، فترجم مصطلح " الأسلوبية " عن نظيرتها « stylistique » في الفرنسية، في حين أثار البعض الآخر تسمية " الأسلوبيات" نقلاً عن المصطلح الانجليزي "Stylistics" وهناك من فضل تفكيك الدال الاصطلاحي إلى مدلولية ليحصل في الأخير على عبارة " علم الأسلوب" [1].

وهكذا أصبحت الأسلوبية حقلاً تطبق فيه مناهج التحليل اللساني على الأدب، بغرض البحث فيه عن المكونات الكلامية للخاصية الأدبية من حيث هي " أدبية ". **فقد اكتشف النقاد في هذا الحقل الفرصة الوحيدة لجعل الدراسات الأدبية، علمية، وهو الحلم الذي راودهم منذ زمن طويل، كما اكتشفوا فيه طريقة محايدة، لا تأخذ الظاهرة الأدبية مأخذاً تاريخياً، ولا مأخذاً نفسياً، وإنما تأخذها كما هي ظاهرة أدبية، وتبحث فيها عن الجوهر الذي يجعلها ما هي عليه، وهذا الجوهر هو الأدبية *(Littéralité)*[2].**

2.2.I.ماهيـــة الأسلوبية:

انطلاقاً مما سبق ذكره يمكن القول إن الأسلوبية **علم مستقل من حيث هدفه الخاص، يستعمل مناهج وأدوات يستعيرها في معظمها من اللسانيات، وهو بالتالي يتصف بسمتان أساسيتان: البحث اللساني والأدبية** [3]. معنى هذا، أن الأسلوبية **علم ألسني يعني بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنيوية لانتظام جهاز اللغة** [4]. وعليه، فإن تفسير العمل الأدبي، عرضه والكشف عن ميزاته الخاصة والمتمخضة عن تفرده في التنسيق بين الصياغة التعبيرية والصور الجمالية، هو ما تسخر له الأسلوبية – كعلم– كافة أدواتها المنهجية، العلمية منها والأدبية، إذ أن واقع الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة– التي راحت تنحو في أغلبها إلى طرح قضايا مجردة– اقتضى لا

---

[1] : نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 13–14

[2] : ابن حلي عبد الله : مدخل إلى الشعرية عند جون كومين، المترجم، العدد 04، دار الغرب للنشر والتوزيع، جوان 2000، ص 75.

[3] : جورج مولينيه: الأسلوبية، صفحة 73 .

[4] : وهو التعريف الذي يذكره: "ف. دي لوفر" F. Deloffre في كتابه "الأسلوبية والشعرية في فرنسا :

محالة خلق بديل نقدي يهتم أكثر بالتحليل الموضوعي للبنية اللغوية للنص معتمداً في تقويمه للعمل الأدبي على مصطلحية علمية دقيقة ومضبوطة.

يشير "عدنان بن ذريل" في اللغة والأسلوب "إلى الأسلوبية عدّاً إياها " **فرعاً من شجرة اللسانيات ومطمحها دراسة الأسلوب الأدبي دراسة وصفية، لا تقوم على معيار**" [1]. وهو يسلك في تعريفه هذا الأسلوبية نفس نهج "بيار جيرو"، هذا الأخير الذي ركز على علاقة الأسلوبية بالجانب اللساني، باعتبار أن الأثر الأدبي لا يمكن النفاذ إليه إلا عبر صياغاته الإبداعية.

صفوة القول إن الأسلوبية تأسست بأصولها المنهجية والقواعدية بفضل "شارل بالي" أحد تلامذة " دي سوسير"، وكان من الطبيعي لها أن تتقاطع مع لسانيات هذا الأخير، لذا نجد "شارل بالي" في مؤلفه "مصنف الأسلوبية الفرنسية " يركز على الأسلوبية النفسية، الوجدانية والتعبيرية اللغوية ويعرف الأسلوبية على أنها دراسة قضايا التعبير عن قضايا التعبير عن قضايا الإحساس وتبادل التأثير بين هذا الأخير والكلام [2].

تجدر الإشارة إلى أن الدراسات الأسلوبية شهدت تحولاً معتبراً، جراء هيمنة الطرائق البنيوية وغزوها مختلف العلوم الإنسانية، هذا بعدما كانت قد عرفت نوعاً من الخمول والتراجع فترة من الزمن، " **فقد ظن نقاد الأدب أن الأسلوبية قد زالت من الوجود فيما بين 1968 و1975 ولكنها كانت حاضرة باستحياء في بعض الدراسات الأدبية**" [3]. وبطبيعة الحال، وكما كان متوقعاً لها، كانت العودة قوية، والتطور منيعاً من حيث الكم والكيف، وفي شكل علمٍ مكتمل المعالم، يقوم على أسس علمية ومنهجية صلبة.

إن أهم الخطوات المنهجية في المقاربة الأسلوبية للنصوص الأدبية هي القراءة المعمقة والمتكررة إلى أن يتحقق الأثر، ومن ثمة تعيين خطوط وشكل الصياغة لتحديد

Frédéric DELOFFRE, Stylistique et poétique française, Paris, Sedes,1974.

[1] : نور الدين السد، " الأسلوبية وتحليل الخطاب، صفحة 214 .

[2] : المرجع نفسه، صفحة 16-17.

[3] : جورج مولينيه: الأسلوبية صفحة 7.

أهم العادات اللغوية والسمات المتكررة في العمل. تقع الدراسات الأسلوبية ضمن شبكة من العلاقات تربطها بالعديد من العوامل اللغوية والأدبية، ويعود ذلك بالتحديد إلى طبيعة الأسلوب في حد ذاته الذي يصل علم اللغة بالأدب، الشيء الذي دفع أصحاب المذهب الشكلي إلى تنبيه بضرورة دراسة لغة النص والإهتمام بمسألة الأسلوب، ومن أهم هؤلاء نذكر على وجه العموم كل من "بروب"، "تشومسكي"، "تينيانوف"، أما على وجه الخصوص فنذكر " رومان جاكبسون" الذي أثار مسألة الشعرية في الدراسات التحليلية للأدب. هذه النقطة وغيرها هي ما سنعرض إليه فيما يلي حتى تتعين لنا إحداثيات هذا العلم على معلم تقاطع (لغة– أدب) في فضاء اللسانيات ونقد الخطاب الأدبي.

I.3. الأسلوبيـــة في ميزان النقد الأدبي واللسانيات:

I.3.1.الأسلوبية والنقد الأدبي:

كما سبق وأن عرضنا إليه في سابق حديثنا عن نشأة الأسلوبية، فإن هذه الأخيرة أطرأتها العديد من المعطيات التي كانت تمتُ بصلة كبيرة إلى الدراسات النقدية، وهي دراسات كان يتناول من خلالها أهل النقد والأدب هذا الخطاب الخاص من حيث بنيته الخارجية والعالم المحيط به. من هنا ظهرت الأسلوبية كبديل علمي يزاوج بين العامل اللغوي والعامل الأدبي في استنطاقه للجمالية والشاعرية التي يتميز به الخطاب الأدبي عن غيره من الخطابات الأخرى، فالمناهج الأدبية على اختلاف مشاربها وتعدد مرجعياتها تتعامل مع النصوص بمفاهيم ومصطلحات نقدية محضة تستند إلى خلفية مرجعية خاصة بها.

والأسلوبية من هذا المنظور تجاوزت حدود الأبعاد البلاغية والبنية التركيبية لتخوض في غمار حسّ النص الإبداعي وتفرده الجمالي، وتنفض الغبار عن جوهره الشاعري، مستفيدة في ذلك من عدة علوم إنسانية وتجريبية.

I.1.1.3.الأسلوبية وعلم البلاغـــة:

قبل أن يظهر مصطلح الأسلوبية إلى الوجود ويشيع سيطه في ساحة النقد الأدبي كان الانشغال مقتصراً على مستوى "البلاغـــة " التي تربعت ولعصور خلت على عرش الدراسات الأدبية، وقد حظيت بقسطٍ وافرٍ من الاهتمام الذي أولاها إياه عظماء النحويين والمفكرين عبر الزمن، ومن أهمهم " أرسطـــو" الذي عرض لها – كما أسلفنا الذكر– في الكتاب الثالث من بحثه الموسوم بـــ " الخطابـــة "، فكان بذلك هو الأب المؤسس لهذا الفن، بل وأيضاً: **الممهّد الأساسي لحداثات الأسلوبية الممتالية في أسماء وتبدلات مختلفة** " [1]، لهذا بالتحديد كثيراً ما يوصف "علم الأسلوب" بأنه " بلاغة جديدة " تتناسب أكثر ومقتضيات العصر اللسانية والأدبية، وتسمح بالمعالجة الشاملة والكاملة لكل بنيات ومستويات العمل الأدبي.

يرى كل من "غريماس" و"كورتيس" أن الأسلوبية ليست إلا حقلاً من الأبحاث ينضوي تحت التقليد البلاغي" [2]. أي أنهما ينفيان الوضع العلمي عن الأسلوبية ويلحقانه بالدرس البلاغي، وبطبيعة الحال، فإن في رأيهما هذا نوع من التعسف اللامبرر علمياً، ومردّ ذلك، دون أدنى شك هو اللبس الحاصل من جراء تقاطع دائِرَتَيْ اشتغال كلا الاختصاصين، إذ يشكل "الخطاب الأدبي" العنصر الأساسي في مجموعة تقاطع كلاَّ الدرسين، ولكن هذا لا ينفي عنهما أمر الاختلاف من حيث التصور والمنهج في مقاربة هذا النوع من الخطابات.

I.2.1.3.الشعريـــة في الدراسات الأسلوبية:

إن الفرق بين "الخطاب الأدبي" وسائر أنواع الخطاب الأخرى يكمن بالدرجة الأولى في كون هذا الأخير يشتغل على مستويين اثنين: المستوى الأول فهو المستوى الذي يعمل فيه بشكل تواصلي طبيعي، كأي خطاب آخر، أما المستوى الثاني فهو سيميائي محض يعتمد على القراءة الفنية والجمالية لعالم النص الأدبي سواءً أكان عالمه الداخلي أو عالمه الخارجي. ضف إلى ذلك أن الألفاظ باخلاف دلالاتها تَحيد في مغزى مقروئيتها عن السياق العادي الذي تحيل إليه في الأصل.

---

[1] : جورج مولينيه: الأسلوبية، ص 94.

[2] : نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب" ص 24.

يعد مفهوم " الوسم " من المقاييس الرئيسية التي تكال بها "الأدبية " في الدراسات الأسلوبية، كما أنه يضطلع بدور أساسي في تمييز الخطاب الأدبي وتحديد قيمته الأدبية. والوسم مفهوم يعادل في معناه مفهوم عبارة " الدرجة الصفر" عند " رولان بارت" إذ أن النص إذا ما تم تلقيه كنص أدبي قيل عنه أنه موسوم، في حين أنه إذا ما تم تلقيه كنص غير أدبي قيل عنه أنه "غير موسوم". أي أن المقصود بالوسم هنا هو "الشعور بالأدبية" لدى القارئ نتيجة لتفاعله مع جملة من الوقائع اللغوية ومن ثمة يمكن القول أن الوسم **يعود إلى اكتشاف السِّمات التي تختص بتحقيق الوظيفة الشعرية، أي أنه يعود – من جهة المتلقي– إلى الشعور بالانتشار الخطابي لجماليةٍ يكون الاشتغال اللغوي غايتها الوحيدة**[1].

المهم، هو أن الأسلوبية تحاول تقصي إستراتيجية اشتغال " الوظيفة الشعرية " من خلال قلب معايير النظم اللغوي، أَوَ لم يكن أشهر تعريف أعطاه " جاكبسون" لها هو أنها تُسقط مبدأ المساواة في محور الانتقاء على محور التنسيق"؟[2]. فالمتعارف عليه هو أن كتابة خطاب أدبي ما يتم في عملية انتقاء أو اختيار يتم على مستويين: معجمي ونظمي، وبين الاستبدال المفرداتي والنظم التراكيبي، تعمل هذه الوظيفة على تحقيق قيمة أدبية معينة في حدود إطار أسلوبي وانتقائي معين.

من أهم المناهج المتداولة في التحليل الأسلوبي نذكر، المنهج الوظيفي و المنهج التوليدي. فأما الأول فقد تبناه "ريشارد بايلي" (Richard Bailey) " [3] . و أما الثاني فقد نادى به "سبيتزر"(Leo Spidzer) و الذي يطالب من خلال العديد من مؤلفاته بالبحث عن الأصل السيكولوجي للنص، فالعناصر الأسلوبية المثيرة والانزياحات في

---

[1] : جورج مولينيه: "الأسلوبية"، ص 168.

[2] : المرجع نفسه، ص 186.

تجدر الإشارة إلى أن هذه المنهجية وكذا شعرية جاكبسون لم تنتشر بيننا زمنياً– إلا بشكل متواز مع أعمال باحث من جيل آخر هو الفرنسي الأمريكي: " ميشال ريفاتير" ومن أهمها:« Essais de stylistique structurale »

[3] : Richard Bailey, Lubomir Dolezel, *An annotated Bibliography of statistical stylistique*, Ann Aubor, Département de langues Slaves de l'Université du Michigan, 1968, pages 34-42.

النص الأدبي، يمكن أن تختزل إلى قاسم مشترك يدلنّا على رؤية مؤلفه للعالم . وهذا معناه أن الأسلوبية الفردية عند " سبيتزر" تحلل النص لتصل في النهاية إلى معرفة كاتبه[1] .

I.3.1.3.المناهج الأسلوبية في تحليل الخطاب الأدبي:

يشكل الخطاب الأدبي مادة أساسية في الدراسة الأسلوبية، وقبل أن نعرض أهم طرق المقاربة المنهجية في تحليل هذه المادة، وحتى تتوضح المفاهيم أكثر، نشير باختصار إلى معنى مصطلحي "خطاب" و"أدبي": فأما الأول في المفهوم اللساني فهو كل نص يأتي نتيجة لعمل إرسال لساني يقوم به مرسل ما، يكون موجهاً بطريقة حتمية إلى قارئ أو سامع (فعلي أو متخيّل) يقوم بعمل التلقي والتفسير[2].

أما المعنى المقصود بكلمة " أدبي" فهو المعنى الذي يطلق عليه جاكبسون تسمية " شعري" أي كل ما ينتمي إلى نظام خاص من عمل اللغة وتحقيقها ويحمل وظيفة هي "الوظيفة الشعرية" وقد سبق وأن تطرقنا إليها في العنصر السابق، من هذا المنظور يصبح الخطاب ذو واجهتان، واجهة الإرسال، وواجهة التلقي، الأول تتناولها الأسلوبية في إطار ما يعرف بـــ أسلوبية الإنتاج، أما الثانية فهي أسلوبية التلقي. ولكن التركيز فهو بشكل أكبر على النوع الثاني والذي يقوم على البحث "في النص عن العناصر الموجودة فيه، والتي تجعل منه نصاً أدبياً، وذلك على سبيل تحديد خصوصية هذه العناصر وطبيعة عملها"[3].

تأسيساً على ذلك نقول أن التطبيقات الأسلوبية تقوم عموماً على التنقيب في أغوار الخطاب الأدبي لاستخلاص غايته الجمالية والكشف عن دقائق رسالته الإبداعية، فعملية تحديد خصائص خطابية معينة في أسلوب كاتب معين أو جنس أدبي بعينه، ليس بالأمر الهين وهو يحتاج إلى الحنكة والمراس وإلى نوع من الوعي الفني والجمالي، إذ أن

---

[1] : Leo Spidzer, Stylistique et critique littéraire », dans CritiqueXI, 1955, PP
Voir aussi: Leo Spidzer, Stylistics and literary hitory, Princeton University Press,1948, PP18

[2] : جورج مولينيه: الأسلوبية، ص 20.

[3] : المرجع نفسه، ص 22.

هناك فرق شائع بين الخطاب الأدبي واللغة التي كتب بها هذا الخطاب، لأن هذا الأخير كثيراً ما يتجاوز المستوى التركيبي للغة.

II.1.الإحصاء النصي –القران الآلي بين الإحصاء و اللسانيات–

II.1.1.ماهية الإحصاء النصي:

أ–الإحصاء لغة :

ينحدر مصطلح « statistique » في اللغة اللاتنية عن المصطلح الألماني « Statistik » الذي وضعه رجل الإقتصاد الألماني "ف. أشنوال" (G. Achenwall) وذلك سنة 1749، وأصل هذه الكلمة هو مصطلح « Statisticus » المشتق من لفظ « Status » بمعنى « Etat » أي "حالة" [1].

و قد جاء في القاموس الإيتيمولوجي لـــ "أو سكار بلاش" و "والذر فان وارتبوغ" (Gscar Blach et Wather von Wartburg) أن مصطلح « Statistica » استخدم في الإيطاليا سنة 1633 ليشير إلى معنى "علم الحالات" (Science de l'Etat)، أما في اللغة الفرنسية فإن مصطلح Statistique استخدم بشكل رسمي لأول مرة في "المذكرات السرية" (Les mémoires secrets) " للويس بوتي دي بشومو " «Louis petit de Bachaumont » سنة 1785، و في اللغة الإنجليزية، استخدم مصطلح « Statistics » لأول مرة بشكل رسمي سنة 1770 في «Biellfld's Elements of Universel education» لمؤلفه "و.هوبر" (H.Hooper) وذلك للدلالة على "العلم الذي يشرح الحياة السياسية"[2].

ب–الإحصاء اصطلاحا :

الإحصاء احد فروع الرياضيات الواسعة ذات التطبيقات الواسعة ، يهتم علم الاحصاء بجمع و تلخيص و تمثيل و ايجاد استنتاجات من مجموعة البيانات المتوفرة ، محاولا التغلب على مشاكل مثل عدم تجانس البيانات و تباعدها . كل هذا يجعله ذو اهمية تطبيقية واسعة في شتى مجالات العلوم من

---

[1]. Dictionnaire International des termes littéraires (statistique / statistic)récupérée de « http : // fr. Wikipedia. Org / Wiki / statistique » dernière modification 19 avril 2006

[2] Cf. Oscar Bloch, Walther Von Wartbung : Dictionnaire étymologique, P.U.F : orig 1932, Paris 1989.

الفيزياء إلى العلوم الاجتماعية و حتى الانسانية ، كما يلعب دورا في السياسة و الأعمال :
1- **في العلوم السياسية :** دراسة منهجية للوقائع الاقتصادية و الاجتماعية من خلال إجراء عمليات رقمية.

2- في الرياضيات : دراسة تقوم على تطبيق تقنيات حسابية على مختلف الظواهر للخروج بمعطيات كمية حسب القوانين الرياضية، كقانون الاحتمالات مثلا، و من أهم هذه الدراسات : الإحصاء الديمغرافي، الاقتصادي، الطبي، السيكولوجي...إلخ.

و لقد تعددت مجالات استخدام هذا المنهج لدرجة أن بلزاك (Balzac) في "التكهن الثاني" (2éme Méditation) لـــ "فيزيولوجيا الزواج" (1829) و المعنون "الإحصاء الزوجي" (Statistique Conjugale) يرى أن في الإحصاء حلاً لكل القضايا المعاصرة و الحاسمة التي من شأنها أن تحول دون تقدم الأمم و تطورها :

« La statistique doit être le budget des choses، elle éclairent les graves questions que soulèvent les excès modernes relativement à l'avenir des nations »[1]

3- في اللسانيات و الأسلوبية : دراسة منهجية لمعطيات لسانية أو أسلوبية استنادًا على عمليات رقمية (تحديد قائمة الترددات، حساب الورود، فهرست المصطلحات...إلخ) ولم يستعمل الإحصاء في التشخيص الأسلوبي إلى في حدود منتصف القرن التاسع عشر حوالي سنة[2]1851.

يعد "أوغستوس مورقان" (Augustus de Morgan) أول من أصر على نجاعة استخدام الإحصاء كأداة في البحث الأسلوبي، مبررًا ذلك بقوله : "إني أتوقع أن أجد شخص ما يكتب في موضوعين مختلفين يتفق مع ذاته أكثر من إتفاق شخصين مختلفين يكتبان في نفس الموضوع"[3].

---

[1] Cf. Dictionnaire International des termes littéraires (statistique / statistic)récupérée de « http : // fr. Wikipedia. Org / Wiki / statistique » dernière modification 19 avril 2006
[2] Voir : Ritchard.W. Bailey, Statistics and style : A historical survey, P 217.
[3] Idem, P. 217.

المصطلحات المفتاحية لعلم الإحصاء تنضوي على مفاهيم نظرية الاحتمالات بشكل أساسي:
مجتمع إحصائي population ، عينة Echantillon، وحدة استعيان Unité d'échantillonnag ، احتمال Probabilité.

الخطوة الاولى في أي عملية إحصائية هي جمع البيانات data من خلال عملية الاستعيان من ضمن المجتمع الإحصائي الضخم أو من خلال تسجيل الاستجابات لمعالجة ما في تجربة معينة أو عن طريق ملاحظة عملية متكررة مع الزمن ،من ثم وضع خلاصات رقمية و تمثيلية الأنماط الموجودة ضمن البيانات يتم دمجها(تنمذج modélisation) لأخذ استدلالات حـــول مجتمعات كبيرة ، لذلك يجب دراسة حجم العينة بحيث تكون ممثلة للمجتمع الإحصائي المسحوبة منه .

ج-الإحصاء و النص:

يتمثل الإحصاء النصي في دراسة النصوص باستخدام المنهج الإحصائي، ورغم كون اللسانيات و الإحصاء حقلين بعيدين كل البعد عن بعضهما البعض في المبادئ، التاريخ و التغيرات الكثيرة التى طرأت على كليهما، إلا أنهما يلتقيان ببعضهما البعض من خلال نقاط عديدة ظهرت بظهور الإعلام الآلي، و تشمل هذه الدراسة بالأخص النصوص الأدبية، السياسية و التاريخية و هذا ما يشير إليه كل من "ل. لوبرت و أ. سالم" (L. Lebart A. Salem) في كتابها الموسوم ب "الإحصاء النصي" :

« L'étude des textes à l'aide de la méthode statistique constitue le centre d'une sphère d'intérêts que l'on désigne par statistique textuelle »[1].

كما أنهما يضيفان في نفس الموضع أن طرق المعالجة النصية المستخدمة في الإحصاء النصي هي في مجملها طرق ناجمة عن تفاعل العديد من الاختصاصات كدراسة النصوص، اللسانيات، تحليل الخطاب، الإحصاء، الإعلام الآلي،...إلخ. و الواقع أن هذه المقاربة الإحصائية في تحليل أسلوب النص، ما هي في الحقيقة إلا محاولة موضوعية و مادية لوصف الأسلوب و من ثمة فإننا – على حد تعبير "فول فوكس" (F. Fuks) – نقيم أسلوبا كما يأتـــي في نطـــاق المجـــال

[1] L. Lebart et A. Salem : « Statistique textuelle », DUNOD, Paris 1994, page 11.

الرياضي بتحديده من خلال مجموع المعطيات التي يمكن حصرها كميا في التركيب الشكلي للنص"[1].

إن النجاح الباهر الذي حققته المناهج و التطبيقات الإحصائية في مختلف مجالات العلوم الطبيعية (الفيزياء، البيولوجيا...*)، و أيضا في حقل العلوم الإنسانية (علم النفس، الاقتصاد...)، قد شد إليه انتباه المختصين في دراسة الألفاظ، و لو أن ذلك جاء متأخرا بالمقارنة مع المجالات الأخرى –حيث أنه في عدم اهتمام اللسانيات بالأرقام – على حد تعبير" « Marcel Cohen » (ماريسل كوهين) في محاضرة ألقاها سنة 1948 – عندما يتعلق الأمر بدراسة الظواهر اللسانية ما يعرقل مسار تطور هذه الأخيرة و نستحضر في هذا الصدد مقولة "بيار جيرو" (Pierre Guiraud) : "**اللسانيات هي علم إحصاء نموذجي، علماء الإحصاء يدركون ذلك جيدًا، و لكن أغلبية اللسانيين يجهلونه**" [2].

« La linguistique est la science statistique type، les statisticiens le savent bien، la plupart des linguistique l'ignorent encore » (Guiraud، 1960)

غير أنه و بمرور الزمن و تطور التفكير المنهجي العلمي و الحاجة إلى إقحامه في كافة مجالات العلم و المعرفة، حظيت المناهج الإحصائية بمكانه مرموقة في الدراسات الأسلوبية المعاصرة، أو كما جاء على لسان "سعد مصلوح" : "**و لما كنا نعيش في عصر إحصائي فإنه ليس من الغريب أن تظفر مناهج الإحصاء في دراسة الأسلوبية بشهرة واسعة، و بالرغم من**

---

[1] نور الدين للسد : الأسلوبية و تحليل الخطاب ص 97.

* تشير أن أولى هذه القياسات التحليلية كانت من نوع بيولوجي و أنتروبولوجي (Anthropométriques et Biométriques) قام بها كل من الإحصائيين " فيشر Fisher و "ماهنالولو Mahanalolois "، و كان الغرض منها تحديد الانتماء الجنسي و العرقي للأشخاص انطلاقا من الهياكل العظمية (سنة 1936) و كانا بذلك من الأوائل الذين طبقوا هذه الطريقة القياسية التي يطلق عليها اسم : " التمييز الخطي أو "التحليل التمييزي للعناصر" « Analyse Factorielle discriminante » أو (« discrimination linéaire »)

Cf.Benzekri J-P, *Analyse discriminante et analyse factorielle*, Les cahiers de l'analyse des données II, N°4 PP369-409.

[2] L. Lebart. & A. Salem : « Statistique Textuelle », p. 16.

التحفظات التي يبديها الباحثون(.....) إن هذا المنهج لهو حافل بجليل الفوائد، يقدم الكثير من الحلول الموضوعية"[1].

يساهم الإحصاء النصي و بشكل فعلي، في توضيح العديد من الأمور و الإقرار بصحتها من خلال، مثلا، نسبة نص معين إلى مؤلف معين أو فترة تاريخية معينة، إذ أنه:

« Dans le domaine de la statistique textuelle، l'aide à la décision pourra concerner l'attribution d'un texte à un auteur on a une période، la réponse une enquête sous forme de choix d'un document dans une base de donnée, la codification d'une information exprimée en langue naturel »[2].

II.1.1.1.المنهج الإحصائي في الدراسات اللغوية :

لقد غدا الإحصاء طريقة في العمل لا يستغني عنها أي علم، و بعضها لا يكاد يعتمد سواها. فالإحصاء بشكل عام، سواء تجسد في عملية بسيطة أو معقدة، يدرس بعض الخصائص التي تميز أفراد مجتمع ما، إما مع الأخذ بعين الاعتبار مجموع هؤلاء الأفراد، أو بالاقتصار على دراسة هذه الخصائص عند عدد معين منهم يتم اختياره كنموذج عن الكل [3].

فالمنهج الإحصائي هو منهج علمي يوظف كأداة عملية في تحليل الظواهر التي يمكن ملاحظتها، كما أنه يسمح ببناء نموذج مصغر انطلاقا من مجموع (un ensemble) مركب من عدة عناصر يصعب في الغالب دراستها كلها، و عليه، فإنه يوفر إمكانية تقييم بعض خصائص هذا المجموع استنادًا إلى النموذج المصغر، و كذلك التحقق من الفرضيات الصادرة عن الانطباعات الحدسية بخصوص المجموع كله، و بالنسبة لـــ م.ع.مورو" (M. R.Moreau) فإن صعوبة تطبيق هذا المنهج في مجال الدراسات اللغوية يكمن بالدرجة الأولى في تحديد العناصر الإجرائـــيـــة و الوحدات الإحصائية، و هو شرط أساسي في أي دراسة إحصائية كانت[4].

---

[1] سعد مصلوح : "دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة"، دار الآفات الجديدة – بيروت، 1985 لبنان صفحة35

[2] L. Lebart & A. Salem : « Statistique Textuelle », P.24.

[3] CH. Muller : Principes et méthodes de la statistique lexicales, page3.

[4] M.R. MOREAU : Statistique et analyse linguistique, colloque de Strasbourg (20-22 Avril 1964), page 125.

يرى "جون دوبوا" (Jean Dubois) أن الإحصاء هو أداة تجريبية تستخدم لإثبات و تأكيد فرضيات معينة، كما أن العدّ (القياس Quantification) يعطي بعدا آخرا للأنظمة التي بإمكان الدراسة الوظيفية التركيبية للوحدات أن تكشف عنها، و هو يقول في هذا الصدد :

« La statistique n'est pas considérée comme une fin en soi، comme une méthode spécifique destinée à se substituer à toute autre forme d'analyse ; elle est un moyen d'expérimenter، de confirmer ou d'informer des hypothèses ; la quantification donne une autre dimension au systèmes qu'une étude du fonctionnement syntagmatique des unités a pu révéler »[1].

و يضيف هذا الأخير أن الإحصاء يرتبط بشكل أساسي بالتحليل البنيوي للغة :
« La statistique reste ici subordonnée à l'objet essentiel qui reste l'analyse structurale de la langue »[2].

ولا يفوتنا أن نشير في هذا المقام إلى أن اهتمام العرب بهذا المنهج الإحصائي في الدراسات النقدية و اللغوية قديم جدًا، بحيث يعود تقريبا إلى القرن الأول الهجري، إذ يذكر صاحب كتاب "المباني في نظم المعـــاني" و الذي ألف سنة 425 هجري" أن الحجاج بن يوسف جمع الــقراء و الكتبة فعدُّوا له جميع آي القرآن و كلامه و حروفه، و كان ذلك في القرن الأول الهجري، وكان غرض هذا الإحصاء توثيقيا. و قد شاعت ظاهرة الإحصاء و استفادت منها بعض الدراسات القرآنية" .

II.2.1.1.الإحصاء النصي و اللسانيات الكمية :

كثير ما تجمع الدراسات التي تطبق المنهج الإحصائي في تحليل النصوص جملة من المقاربات الكمية الخاصة بمجموع الوحدات اللسانية التي تنتمي لنفس النص، و هذا ما يعرف عند كل من "بيار جيرو" ويول (P. Guiraud et Gu. Yule) بالإحصاء المعجمي و الذي عرض له أيضا "شال موليز" (CH. Muller) بشكل واسع و مفصل بعد تطور مناهج التحليل و المقارنة اللسانية و ظهور اللسانيات الكمية (Linguistique quantitative) التي كانت تسعى إلى دراسة الظواهر اللسانية باستخدام تقنيات رياضية وإحصائية قصد تحديد السمات اللغوية التي

---

[1] Jean Du Bois, Ibid page 95.
[2] Ibid, Page 95.

تعجز الدراسة الوصفية المحضة عن تحديدها و تعيينها بشكل موضوعي و دقيق. و من منطلق هذه النظرة فإن "إيفان لوبرا" (Yvan Lebrun) يرى أن :

« ….L'objet de l'étude est، et reste à tout instant، le langage، les mathématiques où la statique n'étant qu'un outil permettant une meilleure investigation. Les dénombrements et les calculs ne se justifient que s'ils aident à mieux connaître le phénomène linguistique considéré. »[1] .

نشير في هذا الصدد أن الستينات شهدت تطورا كبيرا في طرق تحليل المتغيرات الكيفية بعد ظهور عدة إمكانيات إحصائية جديدة، حيث أنه و في ظل هذه الظروف الإيجابية الخصبة اكتسب التطبيق الإحصائي المتعدد الأبعاد خاصيته الحديثة في ميدان الدراسات النصية، و من أهم الأعمال المنجزة في هذا المجال نذكر كتاب : « Cours de linguistique mathématique » لمؤلفه : "ج.ب.بن زكري" (J.P Benzékri) سنة 1964، و مذكرة "ب.اسكورفي كورديي" (B.Escofier Cordier) سنة 1965حول دراسة التكافؤات .[2]

لقد أصدر "ج.هيردان" (G. Herdan) كتابه الموسوم بـــ « Linguistique statistique » (اللسانيات الإحصائية) سنة 1964، معتبرا أن نشأة هذا العلم تنبثق بالدرجة الأولى عن النظرية اللغوية لـــ "دي سوسير"، و أن هذا الاختصاص ما هو إلا فرع من فروع اللسانيات البنيوية، يقوم على أساس الوصف الإحصائي (على مستوى النصوص) لوظائف الوحدات المحددة من قبل اللسانيين في مختلف مستويات التحليل اللساني، الفونولوجي، المعجمي و التركيبي[3] .

كما يشكل الإحصاء اللغوي أولى و أهم مستويات التحليل الإحصائي اللغوي و هو من أساسيات الدراسة النصية التي تقوم على منهج الوصف الإحصائي، و عليه فإنه يمثل مظهرًا بارزًا من مظاهر الإحصاء النصي.

---

[1] LEBRUN Yvan : « Linguistique quantitative », dans : « Statistique et analyse linguistique - colloque de Strasbourg (20-22 avril 1964), Presses Universitaires de France, Paris 1966, Page 105.

[2] L. Lebart & A. Salem : Statistique textuelle, Pages 18-19.

[3] Cf. Gustav Herdan, Linguistique Statistique, Butterworths editions, Londres 1964.

2.1.II.من الإحصاء المعجمي إلى الإحصاء النصي :

1.2.1.II.الإحصاء المعجمي :

و كما تدل عليه التسمية، فإن موضوع هذا النوع من الإحصاء هو الكلمات أي الكلمات عمومًا أو الأسماء، الصفات أو الأفعال فقط، حيث تتحدد هذه الأخيرة ضمن قسم خاص يرتبط بطبيعة المادة المدروسة، و من ثمة قد تتكون المجموعة إما من قائمة كلمات (المائة الأولى من كلمات معجم ما، أو الألف كلمة الأكثر تداولا في لغة ما أو ألف كلمة من متتالية الكلمات المكونة لنص ما).

فالإحصاء المعجمي هو فرع من فروع اللسانيات الكمية و هو ينقسم إلى قسمين اثنين حسب نوعين من الكلمات المقصودة بالعدّ، فالكلمات إما أن تكون مجموعة من الوحدات الجد ولية الحاملة لدلالة، أي وحدات المعجم و التي يدعوها "شارل مولر" (Charles Muller) بوحدات اللغة، و إما لكلمات منظومة في نص يفك الباحث عقدها و يصنفها و يطبق عليها العمليات الإحصائية التي تناسب غايته العلمية، و هي ما تعرف عند "شارل مولر" بوحدات الخطاب.[1]

و بطبيعة الحال، فإن المجموعة الثانية هي التي تهمنا بالدرجة الأولى، ذلك أن مجموع الكلمات المنظومة في نص ما هي من أهم المتغيرات الشديدة الصلة بالخصائص الأسلوبية للكتاب، الأجناس و التيارات الأدبية و حتى الحقب الزمنية أو كما يعرفه "شارل مولر":

« Une étude quantitative de tous les mots d'un texte ou d'un corpus en fonction d'un seul caractère : leur rattachement à un lexème »[2].

يعني هذا الكلام أن الإحصاء المعجمي هو دراسة كمية لكل الكلمات الواردة في نص أو مدونة تبعا لخاصية واحدة : و هي ارتباطها بمعجمة* معينة، أي انحدار هذه المفردات عن نفس الجذر أو انتماءها إلى نفس الفئة النحوية.

---

[1] Voir, Charles Muller : Principes et méthodes de la statistique lexicales.

[2] Idem, Page 10.

* مصطلح معجمة هو اسم مفعول من أعجم الكلمة أي أزال عجمتها و الإجتزاء فيه باسم المفعول مجرّد اختزال قامت الصفة فيه مقام الموصوف. بالإضافة إلى تسمية "معجمة" يقترح كل من الطيب البكوش و صالح الماجري كلمة **عَجْمَم**، كما يقترح حلمي خليل **وحدة معجمية** كمقابل لمصطلح « **lexème** »، إلا أن هذه التسمية الأخيرة يمكن أن تزرع نوعًا من الغموض في المعنى و يتضح ذلك جليًا إذا ما تمت ترجمتها إلى الفرنسية « Unité lexicale » ينظر : المختار كريم : الأسلوب و الإحصاء، السلسلة 8، عدد 16، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، تونس 2006 صفحة 234.

إن التحديد الدقيق لمفهوم "الوحدة الإحصائية" لهو من أوليات البحث الإحصائي على المستوى المعجمي، فتعدد المفاهيم و اختلاف المعاني من شأنه أن يخل، لا محالة بمصداقية و صحة العملية التكميمية. و قد اعتبر "مولر" هذه القضية حساسة للغاية تتوقف عليها جل العمليات التكميمية و الإحصائية المعجمية لأي نص كان سواء في المجال الأدبي أو السياسي، مكتوباً كان أو منطوقًا، لذا فلا بد من توخي الحذر في مجابهة آثار هذه المسألة و تبعياتها و ذلك قبل الحسم في الاختيار و تبنيه[1].

وإذا كانت الكلمة هي الوحدة الأساسية في الإحصاء المعجمي، فقد تضاربت التعاريف و اختلفت في تحديد مفهوم نظري أو علمي موحد لهذه الوحدة الإحصائية، فإذا قلنا مثلاً "أصروا على التمسك بأقوالهم" و اعتبرنا هذه الجملة مكونة من أربعة كلمات يفصل بينها بياض، نكون في هذه الحالة قد اعتبرنا "على" (حرف الجر) كلمة مستقلة، في حين أننا اعتبرنا "الباء" (و الذي هو أيضا حرف جر) مجرد جزء من كلمة أخرى، الأمر الذي ينطبق في الكثير من الأحيان على الضمائر المتصلة و الزوائد المرتبطة بالأفعال و هي كلها حالات تبرر الشك و بوادره حول مصداقية الإحصاء و تضارب معاييره القياسية، لهذا بالتحديد، فقد فضل الإحصائيون اعتماد الخط" أي اعتبار الكلمة "وحدة رسمية" (غرافيم) أو علامة مرسومة بين فراغين [2].

و عليه، فقد بنينا خطتنا العملية في المعالجة الإحصائية المقارنة للنصين(النص الأصلي و النص المترجم) – في الفصل التطبيقي من هذا العمل– على منهج أو حادي الإستراتيجية يقوم على اعتبار كل اسم و كل فعل كلمة واحدة حتى و إن كان مزيدًا أو متعديًا إلى ضمير أو ضميرين (سأخبركم و أخبرتكم) بالنسبة للأفعال، و معرفًا أو متصلاً بضمير كما هو الشأن بالنسبة للأسماء (مدارسنا، مدارسكم)، و بهذا الشكل فإننا نعتبر الضمائر و الحروف المتصلة "عناصر نحوية" ينطبق عليها" قانون الانسجام الداخلي للكلمة((Cohésion interne) أي أنها عناصر مستقرة الموقع، لا يمكن أن تتقدم إن كانت متأخرة أو تتأخر إن كانت متقدمة) [3].

---

[1] Voir, Lafon Pierre : Dépouillements et statistiques en lexicométrie, Genève Paris, 1984, Page 01.

[2] ينظر في هذا الصدد : سعد مصلوح : في النص الأدبي، جدة 1991، صفحة 105.

[3] المختار كريم م. س صفحة 251.

أما بالنسبة للأفعـــال في اللغة الفرنسية، فقد تبنينا طريقة "جيرو" في إحصاءه للكلمات الفرنسية و بالأخص "الأفعال المركبة، حيث أنه في عبارة « J'ai été averti » يعتبر « ai été averti » كلمة واحدة، على أساس وجود أصل معنوي واحد، و كذلك الأمر بالنسبة للأسماء، فإننا نعتبر الأسماء المركبة كلمة واحدة "رمون غري" هو اسم واحد لشخص واحد[1].

فالاحصاء المعجمي هو أرق فروع الدراسة الأسلوبية الإحصائية و أشدها تأصيلا و تنوعا في الغايات و المناهج ويعد ثمرة اتصال بين اللسانيات الكمية و الإعلام الآلي و ذلك في ظل القفزة النوعية التي عرفها حقل الإلكترونيات و صناعة الأجهزة المعلوماتية و الحسابية مع بداية الستينات لتتوافر بذلك الأدوات الإجرائية للسانيين و الإعلاميين، على حدّ سواء، بشكل يسمح لهم من تحقيق دراسة مصطلحية واضحة و دقيقة.

II.2.2.1.مفاهيم أولية في الإحصاء المعجمي: الورود و التردد

إن رجوع الكلمات و ظهورها مرارًا و تكرارًا في النص هو ما نعنيه بمصطلح "ورود" أو ما يقابله في الفرنسية" « Occurrences » أي أن الورود هو مختلف الأشكال التي تأخذها اللفظة أثناء تكرارها في النص. يوضح "شارل مولر" ذلك في قوله:

« Chaque mot du texte est une forme d'un lexème et d'un seul ; on dit aussi qu'il est une occurrence de ce lexème »[2].

و يضيف هذا الأخير في موضع آخر، أنه لا بد من التمييز بين كلمة "شكل" و كلمة "ورود"، حتى لا يسود الاعتقاد بأنهما مترادفتان، إذ إن الكلمة في النص هي ورود لشكل من أشكال الجذر الأصلي لهذه الكلمة[3]. و من ثمة، فإن ظهور هذه الكلمات يكون في أشكال تصريفية مختلفة في كل مرة قصد تأدية غرض خطابي معين و بعد ضمها إلى بعضها البعض فإنها تكون أسرًا، لهذا فإن عدد الورود لمفهوم "الذهاب" في الأسرة المكونة من "ذهب، ذاهبون، سيذهب" هو ثلاث.

---

[1] Cf. Pièrre Guiraud, Les caractères Statistiques du vocabulaire, P.U.F, Paris,1954, P.20.
[2] Muller Ch. : Principes et méthodes de la statistique lexicale, Page 7.
[3] Voir, CH. Muller : Initiation aux méthodes de la statistique linguistique, Larousse, Paris 1968.

و إذا كان "يول" قد استخدم مصطلح "عدد الورود" للتعبير عن قائمة الألفاظ الممثلة للأسر، مع الإشارة لها ب "المجموع م1" و "المجموع 0" إلى القائمة الخالية، أي قائمة الكلمات دون اعتبار لتكرارها[1] ، فإن "مولر"،أيضا، عند اقتراحه لمصطلح "كلمة" (Mot)، اعتمد على نفس تصور "يول"، فنجده يشير بـــ « Mot » إلى كل ما تحقق في النص سواء تكرر أو لم يـــتكرر و بمصطلح « Vocabulaire » للأسر أو المجموعات المتجانسة من الكلمات، حيث يعادل مصطلح « Vocabulaire » عند موليز تقريبا نفس مفهوم المعجمة (Lexème)، إلا أنه فضله على هذا الأخير لأنه يمكن أن يحتوى على ما هو ليس بموجود في المـــعـــاجـــم كـــالأعـــلام و الدخيل[2]. و عليه فإننا سنحتفظ في هذا البحث بمصطلح "كلمة" الدلالة على عناصر الأسرة ، مقابل "معجمة" للدلالة على الأصل المعنوي.

إن مفهوم الورود، في الإحصاء المعجمي، تربطه صلة وثيقة بمفهوم التردد و الذي يتمثل في عدد مرات تكرار المفردة الأصلية، و التي قد تظهر في أكثر من صورة في النص، وهو في علم الإحصاء مبدأ يصف العلاقـــة الموجودة بين هذا العدد و عدد الحـــالات المحتمل ورودها، و عليه فإن التردد يُترجم بعبارة رقمية تتفاوت بين 0 و 1 و هذا ما يعرف بـــ "التردد النسبي" (Fréquence relative) كأن نقول مثلا أن تردد "الصفة في نص ما تقدر بـــ 18 % أو 18،0، أما أن نذكر عدد مرات التكرار فهذا ما يسمى بـــ "**التردد المطلق**" (Fréquence absolue) وهو التردد المقصود في الإحصاء المعجمي، أما التردد النسبي فيكون الرجوع إليه عندما يتعلق الأمر بتحديد عدد الورود مقارنة بالعدد الإجمالي لكلمات النص، و هذا بالتحديد ما يشرحه "شارل موليز" (Ch. Muller) في تعريفه لمصطلح التردد :

« Après lemmatisation d'un texte، chacun de ses vocables est doté d'une fréquence، qui est le nombre de ses occurrences dans le texte. (…) Mais en statistique lexicale l'usage s'est établi d'entendre par fréquence la fréquence absolue، donc le nombre d'occurrences،… »[3].

---

[1] Yule G.U (1944), *The Statistical Study of Literary Vocabulary*, Cambridge University Press, Reprinted in 1968 by Archon Books, Hamden, Connecticut., Page 31-32.
[2] CH. Muller, Principes et méthodes de la statistique lexicale, Page 08.
[3] CH. MULLER, Principes et Méthodes de la statistique lexicale, Page 47.

و لقد أسفرت دراسة التردد على مستوى النصوص – الأدبية بالتحديد – عن الكثير من المزايا، بدءًا بتلك الدراسات التي خَصَتْ معجم كبار مؤلفي المسرح الكلاسيكي الفرنسي في القرن السابع عشر و التي انصبت على:

– مقارنة معجم مختلف المؤلفين.

– قياس تطور معجم ألفاظ نفس المؤلف عبر مختلف الفترات التي قام فيها بإصدار أعماله...إلخ.[1]

فكان من الطبيعي أن أضفت هذه الدراسات الإحصائية ذات الاستعمال الأدبي صبغة جد موضوعية على التقسييمات الحدسية التي كانت تصدر عن مختلف المقارنين.

و في نفس التوجه يشير "قوقينهايم" (G. Gongenheim) إلى أن دراسة نسبة تردد ألفاظ مدونة محددة سيميائيا تسمح بالكشف عن بعض التوجهات الأدبية، العاطفية، الفكرية و الاجتماعية التي ميزت فترة زمنية معينة.[2] كما أن إظهار معدلات تكرار السمات اللغوية و نسب هذا التكرار، يعد مظهرا من مظاهر التحليل الإحصائي، و طريقة ناجعة في تشخيص الاستخدام اللغوي عند المبدع[3].

إن الاستثمار الجاد لكل من مفهوم الورود و التردد في الإحصاء المعجمي يجعل من النص مادة قابلة للملاحظة و التكميم و من ثمة تجميع الموارد التي يحتويها و عدّها بشكل يسمح بتوفير مادة العمل التطبيقي للباحث و فتح باب الأسئلة الإجرائية و العمليات الرياضية التي تمكن من الوصول إلى نتائج ملموسة و تحديد أجوبة إحصائية ممنهجة و دقيقة حول أسلوب نص ما و نظام اللغة التي كتب بها، فمما لا شك فيه هو أن لكثرة تردد خاصية معينة في نص ما دلالة معينة و تحديدها، بالتالي، يسمح بقياس درجة استقرار أو تغير الخصائص الأسلوبية، و هو أمر من شأنه أن يخدم الترجمة من حيث تعيين نسبية الانزياح الدلالي الذي قد يتواجد بين النص الأدبي (الأصلي) و ترجمته، إذ تمكن المفارقة الدلالية من تبيان ما إذا كان المترجم قد وفق في محاكاته لأسلوب المؤلف و نقل سماته البارزة، مع الأخذ بعين الاعتبار، الخصائص الأسلوبية العامة التي تميز لغة دون الأخرى و فصلها عن الخصائص الإنشائية و الأدوات التعبيرية،

---

[1] L. Lebart & A. Salem - Statistique textuelle - Page 16.

[2] G. Grongenheim : « Recherches sur la fréquence et la disponibilité », colloque de Strasbourg.

[3] نور الدين السد : الأسلوبية و تحليل الخطاب، ص 105.

الخاصة بالاستعمال الفردي لكل من المؤلف و المترجم، و لا يمكن لهذه الغاية أن تتحقق إلا من خلال مقاربة أسلوبية إحصائية ممنهجة و محددة.

II.3.1.نموذج بيداغوجي (تعليمي) في الإحصاء النصي :

و هو نموذج يجسد عملية حساب التردد في المقاربة الإحصائية للنصوص أو المدونات النصية، و ذلك اعتمادًا على معطيات عامة، ورموز تجسد الشكل العام للنص بغض النظر عن الصيغة الخطية الصحيحة أو المعني الذي قد تجسده هذه الصيغة، و لتكن هذه الرموز حروف من "الأبجدية الفرنسية :

لنفترض المدونة " أ " كمدونة بيداغوجية، ننطلق منها في وصف هذه العملية الإحصائية[1].

[1] L. Lebart & A. Salem, statistique textuelle, Page45 .

ABCAC ; CDEABC. DF.
(1 2 3 4 5) (6 7 8 9 10 11) (12 13)

"المدونة البيداغوجية"

نلاحظ أن هذه المدونة تحتوي على ثلاثة عشر ورودا (13) (13 occurrences) مرقما من 1 إلى 13 أي أن عدد الإجمالي و الذي يمثل الحجم الكلي للنص يساوي 13 و لنرمز له الحرف T و منه فإن T = 13

و يمكن الوصول إلى هذه النتيجة أيضا انطلاقًا من حساب المعادلات التالية:

في البداية نشير إلى أن هذه المدونة تحتوي على ستة (6) أشكال مختلفة و هي: A،B،C،D،E،F و هي تمثل معجم [1] هذه المدونة، و ليكن V هو مضمون (محتوى) هذا المعجم، و عليه نكتب V= 6

حساب التردد (مجموع الترددات) :

يتبين من خلال المدونة (أ) أن الشكل (A) ورد ثلاثة (3) مرات، أي أن له ثلاثة (3) ترددات. عناوين هذا الشكل في المدونة هي : 1،4،9، و هي العناوين التي تعبر عن موقع هذا الأخير في النص (Localisation).

– أما الشكل (C) بمظاهره الأربعة (4)، فهو يمثل **التردد الأقصى** (Fréquence maximale) بأربعة (4) ترددات.

التردد الأقصى = 4 Fmax = 4

– أما الشكل (E) فلا يظهر إلا مرة واحدة في المدونة، أي أنه شكل من نوع **تردد 1** أو ما يعرف بـــ الأباكس (Hapax) [2] (لفظ يذكر مرةواحدة)، و من الملاحظ أن هذه المدونة تحتوي

---

[1] يقصد "بالمعجم" هنا مجموع الجذور الأصلية (Lexèmes) التي تنحدر عنها مختلف كلمات النص، و يعود "شارل موليز" في تعريفه هذا الأخي (المعجم، إلى مفهوم" اللغة و الخطاب" عند "دي سوسير" حيث يقول :

[2] هذا اللفظ مشتق من الإغريقية (Grec) (hapax legomenon) و هو يطلق على الشيء (الكلمة) الذي يقال مرة واحدة فقط : (chose dite une seule fois).

على لفظين من هذا النوع (Hapax 2) و هما الشكلان (E) و (F) أي كلاهما ذكر مرة واحدة في النص، وليكن V1 هو مجموع الأشكال(effectif) ذات تردد 1 و عليه فإن :

V1 = 2

↓ ↓

(F+E) (مجموع تردد 1)

أي أن تردد 1 = 2 (كلمتين لهما ورود واحد في المدونة).

و على نفس الأساس نكتب : V4، V3،V2 ...

بالنسبة لمجموع الترددات التي تكافئ بالترتيب التردد 4،3،2... في المدونة).

V2 = 2، V3 = 1، V4 = 1

توضيح:

V4 = 1 : معنى هذا الكلام أنه قد ورد في المدونة شكل واحد (1) له (4) ترددات أي مجموع ترددات = 4).

يمكننا التعبير، أيضا عن جملة الترددات بالطريقة التالية :

Fréquence : 1،2،3 .... Fmax

Effectif : V1، V2، V3.....Vmax

(.... 1، 2 ، 2)

و منه تكتب جملة الترددات في المدونة (أ) كالتالي :

تردد (fréquence) : 1 2 3 4

مجموع الترددات (effectif) :1 1 2 2

انطلاقا مما سبق يمكننا أن نتحقق بأن القيمة الإجمالية المكافئة كل منها لتردد معين تساوي العدد الإجمالي للأشكال الواردة في المدونة أي أن:

$$\sum_{i=1}^{Fmax} Vi = V$$

توضيح:

تعني هذه المعادلة أن مجموع الأشكال الواردة في النص تساوي مجموع الأشكال الخاصة بكل تردد من تردد 1 إلى التردد الأقصى – أما رياضيا فتقرأ:

(la somme des effectifs vi avec i (i : variante) allant de 1 à Fmax = V

أي مجموع قيم Vi بالمتغيرة i التي تقدر من 1 إلى التردد الأقصى = V

بالتعويض نجد أن :

V1+V2+V3+V4

2+2+1+1 = 6 $\Longleftrightarrow$ V = 6

من جهة أخرى فإن مجموع الناتج عن (التردد x مجموع الورود) (fréquence x effectif) مع الأخذ بعين الاعتبار كل الترددات الموجودة بين 1 و التردد الأقصى (Fmax) تساوي طول (حجم) المدونة :

$$\sum_{i=1}^{Fmax} Vi \times i = T$$

مع العلم أن التردد الأقصى (Fmax) في هذه الحالة يساوي 4.

توضيح:

مجموع قيم Vi x عدد المتغيرات التي تتراوح من i =1 (أي تردد 1) إلى التردد الأقصى =T (T = طول النص) بالتعويض نجد أن :

Fmax

$$\sum_{i=1}^{Fmax} Vi \times i = T = \Longleftrightarrow (V1x1) + (V2x2)+(V3x3)+(V4x4) = T$$

$$(2x1) +(2x2)+ (1x3) + (1x4) = T$$

$$2 + 4 + 3 + 4 = 13 \Longleftrightarrow T = 13$$

وبالفعل فإن هذه النتيجة صحيحـــة مقارنة بالمعطيـــات التي انطلقنا منها في البداية، حيث أنه، و كما هو ظاهر من خلال المدونة، فإن عدد الكلمات (الأشكال) التي تكون هذه المدونة هي 13 شكلا و عليه يمكن القول أن هذه الطريقة صحيحة وسليمة يمكن تطبيقها لإحصاء أو قياس معجم نص معين و كذا و صف أهم خصائصه التنظيمية و التوزيعية.

انطلاقا من النتائج المحصل عليها من حساب نسبة تردد نفس الخواص الأسلوبية، الفئات النحوية و التراكيب المعجمية في النص المصدر و نص الترجمة، يصبح بالإمكان القيام بمقارنة أسلوبية جد دقيقة و الكشف عن العديد من الحقائق أهمها :

1- درجة الإخلاص في نقل الأسلوب الأصلي و الحفاظ عليه.
2- طبيعة المتغيرات الأسلوبية و قيمة الفارق بينهما.
3- إحصاء المساحة الامتدادية لكل النصين.
4- تحديد موقع نقط شعاع النص المترجم على معلم الإبداع الأدبي – الشبه تناظري – من خلال الثنائيات التضادية (حرفية، تطويع)، (محاكاة، تكافؤ)... إلخ.

و هي عملية يتضح من خلالها:

أ- مدى إقرار قواعد و أصول ثقافة اللغة المتلقية أو العزوف عنها.

ب- اقتراح البديل الملائم و الأسلوب المكافئ لتحقيق التوازن الطبيعي على المستوى الأسلوبي و الإبداعي بين النص الأصلي و النص المترجم.

4.1.II.أقسام الإحصاء النصي:

تنشطر الاهتمامات في مجال الدراسات إحصائية النصية إلى قسمين أساسين:

- **القسم الأول:** يشمل الإحصاء النصي الذي يعرف بـــ "الإقصاء الشامل" (discrimination fobale) و هو يهتم بدارسة المضمون، و أحيانا أخرى يركز على الشكل و المضمون معًا.

- **القسم الثاني :** يتجاوز المضمون و يركز على "الشكل" و هو ما يعرف بـــ "القياس الأسلوبي" (Stylométrie)، و هذا النوع بالتحديد هو الذي يهنا في هذا المقام، لذا فسنحاول فيما سيأتي الوقوف عند أبرز حيثياته، وتسليط الضوء على مختلف ميكانيزماته.

إن هذا التقسيم هو التقسيم الذي يؤكده كل من (أل . لوبارت و أ. سالم) (L. Lebart & A.Salem) في قولهما :

« On distingue (…) deux grandes familles de préoccupations qui s'apparentent، dans le domaine textuel، aux procédures statistiques de discrimination et de reconnaissance des formes. La première famille fait abstraction du contenu des textes et s'intéresse essentiellement à la forme.

Elle relève du domaine de la stylométrie. (…) la seconde famille que l'on désigne ici par discrimination globale، parce qu'elle prend en compte le contenu، et parfois le contenu et la forme des textes… »[1].

ولا يفوتنا، في هذا الصدد أن نشير إلى أن أهم التطبيقات التي توظف فيها تقنيات المنهج الإحصائي في الحقل النصي هي تطبيقات تتم على مستوى المدونات الأدبية، و هي تتعدى دراســة المضمــون لقاء تحديد خصائص و مميزات في "الشكــل" أو بالأحرى في "الأسلوب"، و ذلك انطلاقا من التوزيعات الإحصائية للألفاظ، المؤشرات، النسب،... أي من خلال تحديد جملة اللامتغيرات (invariantes) عند مؤلف معين أو في فترة زمنية معينة.

2.II.ماهية الأسلوبية الإحصائية ووظيفتها :

1.2.II.ما الأسلوبية الإحصائية:

تعد الأسلوبية الإحصائية من أهم و أبرز اتجاهات الدرس الأسلوبي المعاصر، و السبب في ذلك يعود، دون أدنى شك، إلى إفادة هذه الأخيرة من مناهج العلوم الدقيقة كالرياضيات و الإحصاء، و اعتمادها على أحدث برمجيات الإعلام الآلي و تقنيات الحساب الإلكتروني، و هي لا محالة، تسعى من خلال هذا و ذاك إلى خلق بديل علمي موضوعي في مجال الدراسات النقدية الأدبية، و تهدف إلى توطيد العلاقة بين العلوم الإنسانية و العلوم التجريبية قصد تحقيق نتائج موثوق بها، بعيدة كل البعد عن الأحكام الذاتية و التقييمات الحدسية.
تتبنى الأسلوبية الإحصائية، في معالجة النصوص الأدبية، أدوات إحصائية تقوم على تعيين خصائص الخطاب الأدبي و تحديد سمائه البلاغية و الجمالية، من خلال حصر و قياس و حدات بنيوية ذات وظيفة معينة.

معنى هذا الكلام أن الأسلوبية الإحصائية تمكن من إبراز الخصائص الأسلوبية المكونة للخطاب الأدبي و دراستها بشكل علمي و موضوعي –يقول "نور الدين السد" في هذا السياق– : "**الأسلوبية الإحصائية تقوم على الوصف الموضوعي و القياس الكمي الذي يستخدم إجراءات التحليل الإحصائي و الرياضي، و يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الأسلوب هو المجموع الشامل للبيانات القابلة الالتقاط و التحديد الكمي في بنية النص الشكلية، و لقد اتجهت الكثير من**

---

[1] L. Lebart & A. Salem : Statistique textuelle, Page 242.

البحوث إلى تحليل العلاقة بين المفردات و معدلات تكرارها و إلى الدراسة الكمية لأطول الكلمات و الجمل، فيقيس بعضهم متوسط طول الجمل و معدل الكلمات فيها و متوسط طول الكلمات و معدل المقاطع و الحروف المكونة لها..."[1].

فسواءً تعلق الأمر بعدد الكلمات، طول الجمل، أو بفئات نحوية و تراكيب بنيوية معينة، كان من الممكن تمثيلها عدديا و حتى بيانيا و ذلك انطلاقا من متوسط معدل ورودها.

يعد "زمب" (Zemb) [2] ، أول من أطلق مصطلح "القياس الأسلوبي" « Stylométrie » على مناهج الإحصاء التي تشتغل على مستوى النص و كلماته، وتحديد انتماء هذه الأخيرة- إحصائيا- من حيث الصنف و متوسط الورود، لتظهر بذلك أولى إرهاصات علم الإحصاء الأسلوبي، و ينفتح المجال أمام مقارنات نصية أكثر موضوعية، وليتسنى بذلك للبحثة تصنيف منشيء النصوص من خلال سماتهم الأسلوبية الخاصة في التأليف و خياراتهم الشخصية في التعامل مع اللغة ولقد ثم تصنيف أنواع الكلمات إلى:

1- السماء
2- الضمائر
3- الصفات
4- الأفعال
5- الظروف
6- حروف الجر
7- الحروف الرابطة (حروف العطف و غيرها)
8- الأدوات الرابطة (الصلات، أدوات الشرط). [3]

إن التقويم الكمي الذي يقوم عليه الإحصاء الأسلوبي، لهو من الأهمية بما كان في تشخيص النزعة السائدة في نص أو عند كاتب ما، و ذلك من خلال حساب النسبية العالية من تكرار بعض السمات اللغوية أو الخواص الأسلوبية و التي تتميز بنسب، كثافة وتوزيعات مختلفة[4].
و سواء في المجال الأدبي، السياسي أو التاريخي، فقد ساهمت الأسلوبية الإحصائية في نسبة العديد من النصوص إلى مؤلفين معروفيـــن (قصائد شعرية، نصوص مسرحية، نصوص دينية

---

[1] نور الدين السد : الأسلوبية و تحليل الخطاب صفحة 112 -113.

[2] نور الدين السد : م.س صفحة 97.

[3] م ن، صفحة 98.

[4] سعد مصلوح : الأسلوب – دراسة لغوية إحصائية – صفحة 45-51.

أو مقدسة) و هي في الغالب نصوص كتبت بشكل غير واضح أو لم تعرف الفترة التاريخية التي كتبت فيها، أو بباسطة هي نصوص مجهولة الصاحب.

يشير "برند شبلر" في مؤلفه" علم اللغة و الدراسات الأدبية – دراسة الأسلوب و البلاغة " إلى هذه الحقيقة في قوله "**لقد حققت المناهج الإحصائية الرياضية في التحليل الأسلوبي نجاحًا كبيرًا في مجال التحقق من شخصية المؤلف، و هذا يعني بيان صاحب العمل الأدبي في النصوص مجهولة المؤلف، كذلك النصوص التي يثار خلاف حول مؤلفها**"[1].

و لعل من أبرز الأمثلة على ذلك، المثال الذي ذكره "راهو" (C.R RAO) في كتابه الصادر سنة 1989 و المعنون بـــ "الإحصاء و الحقيقة (Statistics and Truth) عن كل من "تستيد" و "إيفرون" (Thisted et Efron) و اللذين اعتمدا هذا المنهج في انساب نص اكتشف سنة 1985 إلى شكيير[2].

و يرى "سعد مصلوح" أن للإحصاء الأسلوبي فائدة جمّة في النقد و في تقييم الدراسات الأدبية العربية إلى دياكرونية و سانكرنية بدلا من التقييم حسب الفقرات الزمنية(الأموي، العباسي...) أو البلدان ، حيث أنه، و حين يتمكن الباحث من الربط بين مؤشر إحصائي ما و بعض الأحكام الذاتية (للقراء و النقاد)، فإن أهمية هذا الكشف تتجاوز مجرد التشخيص الأسلوبي إلى مجالات كثيرة ذات أهمية في نقد الأدب، كما أنه يعتبر أن القياس الكمي قد حقق نتائج طيبة في ترجيح نسبة **النصوص المجهولـــة المؤلف أو المشكـــوك في نسبها، في انعدام الشواهد التاريخيـــة أو الوثائقية.**[3]

و لا يفوتنا أن نشير في هذا المقام أن الأسلوبي، من خلال تحرياته الإحصائية حول النص، يهدف إلى الكشف عن مواقع الخصوصية فيه و هو يركز بشكل خاص على ما يمكنه أن يكون حاملاً لمؤشر الخصوصية، كالمكونات النحوية أو التركيبية، و التي تعتبر أفضل صورة عن أسلوب الكاتب.[4]

---

[1] نور الدين السد : الأسلوبية و تحليل الخطاب – صفحة 99.

[2] RAO C.R, Statistics and truth, International Cooperative Publishing House, Failand , 1989,P68

[3] سعد مصلوح : الأسلوب – دراسة لغوية إحصائية – صفحة 47.

[4] Voir, Guiraud Pierre : Les caractères statistiques du vocabulaire, PUF, 1954, P.83.

II.2.2.مشروعية القراءة الإحصائية للأسلوب الأدبي :

لقد شهدت الستينيات نشاطا إحصائيا مكثفا على مستوى البحوث الأدبية و اللغوية بفضل النظرية التكميمية لـــ "هردن" و مؤلفات كل من "جيرو" و "مولر"، إضافة إلى "جون كوهن" الذي أصدر سنة 1966 كتابه المعنون بـــ "بنية اللغة الشعرية" (Structure du langage poétique) ، إلى جانب عدد من المجلات التي اهتمت بالدراسات الأسلوبية و اللغوية التي تتبنى هذا المنهج كمثلا "بيوميتريكا" (Biometrika) و "الحواسيب و الإنسانـــيات " (Computers and Humanités) و أيضا " الحاسوب في الأسلوب الأدبي " (The Compter in Literary style).

إن مشروعية القراءة الإحصائية للنصوص الأدبية تنبثق من عدة اعتبارات، أهمها كون الأسلوب **تردد وحدات لغوية يمكن إدراكها شكليا في النص، و هذا يعني أنه يمكن إحصاء هذه الوحدات اللغوية و إخضاعها للعمليات الرياضية**[1].

يرى "سعد مصلوح" أن البعد الإحصائي في دراسة الأسلوب هو من المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأسلوب، و يضيف في نفس المقام، أن هذا الاستخدام تم عبر مرحلتين أساسيتين ،فأما الأولى فكانت تقوم على قياس الخصائص العامة (المشتركة) في الاستعمال (استعمال اللغة)و أما الثانية فكانت تهدف إلى التوصل إلى الخصائص الفارقة (المميزة) بين الأساليب.

و بطبيعة الحال، فإن التركيز كان بشكل أكبر على المسعى الثاني، مع أنها متكاملان، لأن الأول، من وجهـــة نظره، يمكـــن دارس الأسلـــوب من التعـــرف على الخصائـــص العامـــة و تنحيتها و التركيز على الفروق[2].

من خلال هذا، يتضح أن الغاية الأساسية للقراءة الإحصائية في مجال الأسلوب الأدبي تكمن **في تشخيص الأسلوب بتحديد الخواص الأسلوبية ذات الأهمية في تشكيل النص، و ينشأ من ذلك أن القياس الأسلوبي أوله فرض، وأوسطه اختبار، و غايته تشخيص**[3].

---

[1] نور الدين السد : الأسلوبية و تحليل الخطاب، صفحة 97.

[2] سعد مصلوح : الأسلوب – دراسة لغوية إحصائية صفحة 21-23.

[3] سعد مصلوح : دراسة نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة، دار الأفاق الجيدة بيروت، 1985 صفحة35 .

يضيف "سعد مصلوح" في موضع آخر، و في نفس الصدد، **أن التشخيص الأسلوبي الإحصائي يمكن اللجوء إليه حين يراد الوصول إلى مؤشرات موضوعية في فحص لغة النصوص الأدبية..."**[1] ، إلا أنه، و بالنسبة له **فإن الإحصاء في هذا المجال ليس إلا معيارًا يستخدم للقياس و ليس من مهمة الإحصاء أن يحدد السمات الجديرة بأن تحصى"**[2]، و يشير "صلاح فضل" في كتابة علم الأسلـــوب – مبادئه و إجراءاتـــه– و في نفس الإطار– أن **الإحصـــاءات لا تستطيع أن تدل الباحث في الأسلوب على الخواص الأسلوبية التي تستحق القياس لأهميتها"**[3].

إن المقاربة الإحصائية للنصوص الأدبية تتطلب الإلمام بجملة من المعارف الرياضية حيث يشير "بيار جيرو" في بداية خاتمة كتابه الموسوم بـــ « Caractères statistiques du vocabulaire » (الخصائص الإحصائية للمفردات) إلى أن النص يحتوى على عدد معين من الكلمات المختلفة و التي تشكل في مجملها مفردات النص : كل كلمة من هذه الكلمات لديها نسبة تكرار معينة في النص أي تردد معين، مجموع هذه الترددات يمثل العدد الإجمالي لكلمات النص أو طوله، و هذا بالتحديد ما يقصده حين يقول :

« Un texte comprend un certain nombre de mots différents dont l'ensemble constitue le vocabulaire : (V) chacun de ces mots revient dans le texte avec une certaine fréquence : la somme des fréquences donne le nombre total de mots du texte، ou sa langueur (N) »[4].

و يصيف في نفس المقام أن كثافة و توزيع هذه المفردات تعد بمثابة خصائص "بسيكو – أسلوبية" و أن التحليل الأسلوبي لتوزيع المفردات هو تحليل يرتكز على عدد معين من العوامل الثابتة التي تمكن من تحديد و قياس هذه الخصائص[5] .

من ثمة، فإن معاينة البنية الرقمية لنص ما تنطلق من ثلاثة عناصر أساسية:

– تحديد العدد الكلي (الإجمالي) لكلمات النص –أو بمعنى آخر– قياس طول النص.

---

[1] نور الدين السد : الأسلوبية و تحليل الخطاب صفحة 109.

[2] سعد مصلوح : الأسلوب – دراسة لغوية إحصائية – صفحة42 .

[3] سعد مصلوح : دراسة نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة، صفحة 41.

[4] Pierre Guiraud ; caractères statistique du vocabulaire : P.U.F, Paris 1954 PP 68.

[5] Idem, P69.

– رصد الكلمات المختلفة و ضبط عددها

– تحديد عدد المرات التي تتكرر فيها الكلمة في النص أي تحديد نسبة تردد كل كلمة من هذه الكلمات.

لقد أثبتت الدراسات التي قام بها كل من "ج".ب. ايستوب" (J.B. Estoup) و "ها نز زيف" (Heniz Zipf) أن هذه العناصر مرتبطة ببعضها البعض و أن الإختيار المتباين للمفردات عند مختلف المؤلفين، و عند المؤلف الواحد في حد ذاته، ظاهرة تحكمها الحاجة المتغيرة للتعبير كما بين الباحثون أن الألفاظ تتوزع بشكل عشوائي في النص، الشيء الذي يسمح بوضع نماذج رياضية تقوم على عدد معين من العلاقات التي يمكن استثمارها تجريبيا[1].

إنه لمن مقدور الدراسة الإحصائية للغة النصوص الأدبية أن تسمح بتأسيس لسانيات بنيوية وأسلوبية أدبية في الوقت ذاته، و هذا بالتحديد ما أثبته "بيار جيرو" حين اشتغل على الشعر الرمزي، ولا تفوتنا الإشارة إلى أن الرصد الإحصائي للمؤشرات الجمالية (Effets esthétiques) عند كاتب معين هي عملية جد معقدة، ذلك أن عدد كبير من هذه المؤشرات يرتبط بعنصر جدّ خاص لا يظهر في قائمة الترددات لأنه ببساطة يحيل إلى فردية خاصة و ذاتية، ضف إلى ذلك أن الأثر الجمالي يأخذ أشكالا مختلفة، تختلف باختلاف السياقات و تعددها

من ثمة، يمكن القول أن تبني هذا النوع من الإجراء من شأنه أن يسهل عملية الوصول إلى وصف متكامل و ملموس لخطاب كاتب ما، فقائمة الترددات، مثلا، تقدم معطيات معقدة في صورة معلومات مبسطة، الشيء الذي يسمح بتحصيل جملة من المعلومات الهامة حول معجم عمل أدبي ما من خلال تحديد تردد كلمة معينة في أحد أعمال أو في مختلف مراحل إنتاج مؤلف ما، في تاريخ الأدب عمومًا أو في مختلف الأجناس الأدبية، كما تسمح هذه العملية بتحديد ندرة، وفرة أو انعدام وجود هذه اللفظة في أحد هذه الأعمال[2].

---

[1] Dictionnaire International des termes littéraires / statistique récupérée de: « http : // fr. Wikipedia. Org / wiki / statistiques » dernière modification de cette page 19 Avril 2006.

[2] Cf. Guirand Pierre : Langage et versification d'après l'œuvre de Paul Valery - Etudes sur la forme poétique dans ses rapports avec la langue - Paris : Klincksieck, 1953.

وبطبيعة الحال، فإن هذه العملية لا يمكن أن تتحقق وترقى إلى أهدافها إلا بتضافر جهود أطراف متعددة، و هذا ما يؤكده "شارل مولر" (Ch. Muller) في قوله :

« Un féconde coopération doit s'établir entre statisticien، philologue et historiens ou critiques littéraires »[1].

لقد كان "ج ف بورو" (J.F. Burrow) سباقا في استثمار الموارد الآلية لخدمة المدونات الأدبية من خلال اشتغاله على روايات "جان أو ستين" (Jane Austen) وذلك سنة 1987.[2]

أما "ريبيكا بوسنر"(Rebecca Posner) فقد أثبتت بشكل عملي من خلال مقالها "لسانيات و أدب"- الذي نشر سنة 1963- أهمية أخد العامل الكمي بعين الاعتبار في الدراسات التي تخص اللهجة الفردية لكاتب ما مؤكدة أن الدراسات الأسلوبية الكلاسيكية، تكاد تكون دراسات مضجرة و مملة لكثرة تشابهها و تردد أحكامها، و لذا فإن الأسلوبية الإحصائية قد تجاوزتها بشكل كبير و فعال[3] :

« L'inconvénient majeur de ces travaux (traditionnels) est qu'il tendent à être ennuyeux tant، ils se rassemblent tous. Leur manque de données quantitatives explique en partie leur uniformité : un tout de style qui est fréquent chez Hugo a quelque chance d'être trouvé chez Leconte de liste، et ainsi on en parlera en étudiant ces deux auteurs sans une évaluation de l'importance relative de « tour » découvert dans l'ouvrage des deux auteurs، le plus facilement décrit en des termes de quantité، on peut aboutir simplement à une répétition ennuyeuse de jugements identiques devenus ainsi banals ».

ضف إلى ذلك أن أهم ميزة في هذا المنهج تتمثل في أنه يكشف عن خصائص لا يستطيع الكاتب إخفاءها، إذ أنه هو نفسه غير واع بوجودها و في أن **النتائج التي يتم بلوغها باستغلاله**

---

[1] Muller Charles : Etude de statistique lexicale, le vocabulaire du théâtre de Pierre, Paris, Larousse, 1967 P. 21-

[2] Cf ; J.F. Burrow : Computation into Lingustics, A study of Jane Auston novels and an experiment in method, London : clarendon Press, 1987, (T.XIII) 1963, P41.

[3] Rebecca Posner : Linguistique et littérature de marche romane (t.XIII) 1963, P41.

تكون مستقلة عن الأخطاء الشخصية، و عمل شخص ما في دراسة كاتب يمكن أن يقارن بعمل أي شخص آخر[1].

II.3.2.المناهج الإجرائية في الأسلوبية الإحصائية :

إن معظم مناهج الإحصاء الأسلوبي تنطلق من مؤشرات (des indices) يتم تشكيلها من مجموعة السمات التي تميز أسلوب أديب، جنس أدبي معين، أو حتى تيار أدبي بعينه أو حقبة زمنية، و يلخص "سعد مصلوح" هذه السمات في النقط التالية :

- استخدام و حدات معجمية معينة (Lexèmes).
- الزيادة أو النقص النسبيان في استخدام صيغ معينة أو نوع معين من الكلمات المستخدمة أو قصرها.
- طول الجمل
- نوع الجمل (اسمية، فعلية، ذات طرف واحد، بسيطة، مركبة، إنشائية، خبرية...إلخ)
- ايثار تراكيب و مجازات أو استعارات معينة.[2]

يقول "لوبرت" و "سالم" بخصوص هذه المناهج :

« La plupart de ces méthodes utilisent des indices synthétiques construits à partir des langueurs des mots، des longueurs des phrases، des fréquences de mots outil، de la richesse du vocabulaire، des distributions de fréquence des mots »[3].

بالإضافة إلى هذا، فإن التطبيق الإحصائي يتبنى عدة نظريات و أدوات إجرائية في معالجة الخطاب الأدبي و تحليله، و ذلك بالرجوع إلى العديد من القوانين و المبادئ المختلفة في القياس و الإحصاء.

---

[1] Voir C.B. Williams, Biometrica, vol 43, 1956, P.253.

[2] سعد مصلوح : الأسلوب– دراسة لغوية إحصائية صفحة 23.

[3] L. Lebart & A. Salem : Statistique textuelle page 243.

II.4.2.طرق المقاربة الإحصائية في وصف الأساليب الأدبية :

إن الغرض من استخدام المنهج الإحصائي في التحليل الأسلوبي هو قياس معدلات تكرار وحدات لغوية معينة و تحديد سمات أسلوبية تمتاز بمعدلات تكرار ذات نسبة عالية مقارنة بغيرها من الخيارات الخطابية الواردة في النص الأدبي أو في مجموع النصوص المدروسة.
و عليه فإن تقصي حقيقة هذه الخصائص بعينها لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال المعايير الموضوعية للقياس الكمي و المعالجة الإحصائية، التي تنطلق من واقع أ ن لكل أديب، أو جنس أدبي معين، ميزات في استخدام سمات لغوية بعينها.
يقول "نور الدين السد " في هذا الصدد : "**وقد يلجأ الباحث الأسلوبي إلى الإحصاء لقياس معدلات تكرار المثيرات أو العناصر اللغوية الأسلوبية، و يسعى التحليل الأسلوبي في النهاية إلى تحديد السمات الأسلوبية للنص الأدبي (...)، و ليس التحليل الإحصائي للنص الأدبي بعيدًا عن وصف التأثيرات الإخبارية الدلالية و الجمالية لتلك الجوانب اللغوية في النص، و يضاف إلى ذلك تحديد قيمتها الأسلوبية في إبداع المعنى، سواء من خلال الصيغ التي تصاغ فيها الخبرات و التجارب أو من خلال التراكيب اللفظية التي تقدم إمكانات مساعدة على إبداع المعنى من خلال اجتماع الألفاظ في وحدة عليا**"[1].
أما فيما يخص الطرق الإجرائية المتبعة في التحليل الوصفي للأسلوب الأدبي فيعرض لها "سعد مصلوح" في مقالة مطولة بعنوان "**الدراسة الإحصائية للأسلوبية – بحث في المفهوم و الإجراء و الوظيفة**" الصادرة له بمجلة "عالم الفكر" الكويتية، و نلخصها كالآتي :[2]

1- قياس كثافة المتغير الأسلوبي (densité):

أين يتم قيـــاس كثافة نوع معين من الجمل مثلا، كأن تقاس كثافة الجمل الاسمية في النص و ذلك بقسمة عددها على العدد الإجمالي أو المجموع الكلي للجمل التي تشكل النص برمته.
و في موضع آخر يشير "سعد مصلوح" أن الدراسة الأسلوبية تستعين بالإحصاء لقياس معدلات كثافة الخصائص الأسلوبية عند منشئ أو عمل معين فيقول :"**فإذا أردنا على سبيل المثال قياس كثافة الجمل الاسمية (أو الفعلية) في نص معين قمنا بحساب عدد مرات تكرار الجمل الاسمية (أو الفعلية) في النص ثم نقسمها على طول النص (مقدار بعدد الكلمات أو المقاطع أو الجمل**

---

[1] نور الدين السد : الأسلوبية و تحليل الخطاب صفحة 107.

[2] المرجع السابق صفحة 114-115

حسبما يرى الباحث)،و بذلك يمكننا تحديد كثافة الجمل الاسمية (أو أي خاصية أسلوبية أخرى"[1]

2- قياس النسبة بين متغيرين اسلوبين (ratio) :

يعتمد هذا النوع من القياس على قسمة عدد تكرار أحد المتغيرين على عدد تكرار المتغير الآخر كمثلا حساب معدل نسبة الأفعال على الأسماء، و هذا المنهج بالتحديد هو الذي يعرف **بمنهج أو بمعادلة "بوزيمان"** (Busemann) ، و هوعالم ألماني قام بتطبيق هذا المنهج الإحصائي في دراسة الأسلوب على الأدب الألماني سنة 1965.

ففي حين يمكن من خلال هذه الطريقة القياسية تمييز الأساليب المتنوعة و التفريز بين لغة الشعر أو لغة النثر، أو حتى الأجناس الأدبية الأخرى، كان بالإمكان أيضا الاستعانة بها لمعرفة انتماء النصوص من حيث هي أدبية أو علمية وذلك حسب اتجاه هذه الأخيرة في توظيف الحدث (الفعل) أو الوصف (صفات كمية أو كيفية) "**ويتم حساب هذه النسبة (...) بإحصاء عدد الكلمات التي تنتمي إلى النوع الأول و عدد كلمات النوع الثاني ثم إيجاد حاصل قسمة المجموعة الأولى على المجموعة الثانية و يعطينا حاصل القسمة قيمة عددية تزيد و تنقص تبعا لزيادة و نقص عدد كلمات المجموعة الأولى على المجموعة الثانية (...) فكلما زادت هذه القيمة كان طابع اللغة أقرب إلى الأسلوب الأدبي، و كما نقصت كان أقرب إلى الأسلوب العلمي**"[2].

و بمأن الحدث أو الفعل يميز أكثر كلام الإنسان الشديد الانفعال، فمن الطبيعي أن نسجل ارتفاعًا في قيمة هذه النسبة عندما يتعلق الأمر باللغة المنطوقة مقارنة باللغة المكتوبة، و في أدب المرأة مقارنة بأدب الرجل و في أسلوب الرجل ذاته مع بدايات عمره مقارنة بأسلوبه في الكتابة مع تقدم العمر، و نشير أن هذه المعادلة نشأت تحت تأثير علم اللغة النفسي و الذي يقوم

---

[1] سعد مصلوح : الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، صفحة 42-43.

[2] نفسه الصفحة 60.

على دراسة درجة الاستقرار العاطفي عند الأفراد، و انخفـــاض درجة الموضوعية و العقلانية و اللادقة في التعبير[1].

و تأخذ هذه المعادلة عمومًا الشكل التالي :

نسبة الفعل إلى الصفة = عدد الأفعال / عدد الصفات

ويطلق على هذه النسبة بالإنجليزية تسمية **VAR** : **V**erb **A**djective **R**atio

3- قياس النزعة المركزية للمتغيرات (Les tendances centrales) :

بمعنى قياس النزعة أو الخاصية الأساسية السائدة في النص مثل استخدام جمل طويلة مثلا، دون أن يكون في ذلك إقصاء لورود جمل قصيرة، إلا أن هذا التردد، بطبيعة الحال، سيكون بنسبة أقل بكثير من نسبة ورود الخاصية الأسلوبية المركزية.

4- قياس تشتت بيانات المتغيرات (dispersion):

و فيه يتم التمييز بين النصوص ذات النزعة المركزية المشتركة و ذلك باستخدام التشتت **أي قياس الدرجة التي تتجه بها البيانات الرقمية للانتشار حول قيمة وسطى، و من أهم مقاييس التشتت : المدى (rang)، التباين (variance)، الانحراف النمطي(déviation standard)** [2]

أما فيما يخص مدونة الكاتب الواحد، أي مجموع أعمال نفس المؤلف، فقد بين "زييف" (ZIPF)أن الخصائص التي يمكن الوصول إليها من خلال دراسة كل نص من نصوص المدونة هي خصائص مشتركة، إذ أنه من الصعوبة بمكان تحديد ووصف خصائص مجموع التردادات الواردة في مدونة تحوي آلاف التردادات، و قد أثبت هذا الأخير أن هناك علاقة تقريبية بين المدى (الفرق بين أعلى قيمة و أقل قيمة) و نسبة التردد، و بين أن (قيمة المدى x التردد) تكاد تكون قيمة ثابتة على مستوى المدونة بكاملها [3].

---

[1] المرجع نفسه من صفحة 61 إلى 68.

[2] نور الدين السد : الأسلوبية و تحليل الخطاب صفحة 115.

[3] L. Lebart & A. Salem : Statistique textuelle page 47.

5- قياس التوزيع الاحتمالي المتغيرات (Répartition aléatoire)

تقوم النظرية الإحصائية للأسلوب على أساس أن الأسلوب مفهوم احتمالي موجود في عالم الاحتمال، أي أنه في وجـــود الشرط (س) ستقـــع الظاهرة (أ) باحتمال معين (ب)، (ج)، (د)، و يمكن حساب توقع حدوث كل ظاهرة بواسطة التوزيع الاحتمالي و الذي يصف توقع حدوث الظـــواهر في إطـــار محدد، أو ما يسمى في علـــم الإحصاء المجتمع، انطـــلاقا من عينـــات أو مجموعات تؤخذ كنموذج عن هذا الكل، كأن يتم على سبيل المثال، إحصاء توزيع خاصية أسلوبية أو حساب تردد ألفاظ معينة على مستوى مقاطع أو أجزاء من رواية ما.[1]

هذا بالتحديد ما يشرحه" شارل مولر" (Ch. Muller) في معرض حديثه عن التوزيع الاحتمالي في الإحصاء المعجمي حين يفترض :

« Soit un texte d'étendue N (nombre de mots)، et un des vocables de ce texte de fréquence f (différente de o). On se propose d'étudier la façon dont les f occurrences de ce vocable sont réparties dans l'étendue du texte. L'hypothèse nulle est celle d'une répartition aléatoire des occurrences، telle qu'elle pourrait être obtenue par un tirage au sort de N unités، dont f seraient marquées et dont on noterait le numéro de sortie… »[2]

و يضيف هذا الأخير أنه إذا ما تم تقسيم النص إلى عدد (م) من الأجزاء فسنحصل على م (أ)، م (ب)، م (ج)...م (جزء)...إلخ، و سيكون لمعجم كل جزء **تردد فرعي** (Sous fréquence) يتراوح بين القيمة 0 و قيمة التردد الإجمالي في النص، و عليه فإن قيمة مجموع الترددات الفرعية تساوي قيمة التردد الكلي أي أن :

$$\Sigma fi = f$$

$$0 \leqslant fi \leqslant f$$

Sous fréquence = fi
Fréquence = f

---

[1] سعد مصلوح : الأسلوب – دراسة لغوية إحصائية 38-39.

[2] Charles Muller : principes et méthodes de statistique lexicale, page 55.

و عليه فإن قياس التوزيع الاحتمالي للمتغيرات يسمح، لا محالة، بقياس تكرار متغير أسلوبي ما " **و ليكن المتغير (أ) بوصفه واحدًا من أبدال متاحة (وليكن أ،ب،جـ،....ف) في ارتباط بمقام معين، و سيأتي مناقشة النموذج الرياضي الذي يمكن الاحتكام إليه في وصف الأسلوب عند تعدد الاحتمالات**" [1].

6- قياس معامل الارتباط بين المتغيرات :

يكشف هذا القياس عن نوع من الارتباط بين خواص أو متغيرات أسلوبية معينة، مثل الارتباط بين طول الجملة و البساطة، أو طول الجملة و التركيب فيها، كما يصف ارتباط متغيرات أسلوبية بمتغيرات المقام، كاختلاف شكل النص بين الترقية و الرسالة البريدية مثلا"[2].

و في حين اعتمد "سعد مصلوح" على منهج "بوزيمان" في دراسة و تحديد الخواص الأسلوبية للنصوص الأدبية، فإن "صلاح فضل" كان مَيالاً إلى استخدام منهج "أولمان " في هذا النوع من الدراسات التحليلية، و قد نوه في أكثر من مقام بضرورة الرجوع إليه، و بضرورة أخذ عامل السياق بعين الاعتبار، و يؤكد على مراعاة مبدأين أساسيين في هذا المنهج :

أ- التحديد الكمي ورصد جميع الوسائل الأسلوبية المتمثلة في النص الأدبي و حصرها و تصنيفها ثم تقييمها و إبراز الدلالات المركزة فيها.

ب- تفسير هذه الوسائل الأسلوبية واستحضار جذورها الذاتية و الموضوعية[3].

II.3.الإحصاء الأسلوبي في كنف الإعلام الآلي :

يعد استخدام الإعلام الآلي في مجال الأسلوبية الإحصائية من أهم ميزات هذه الدراسة الكمية التي أصبحت أكثر شهرة بفضل الإسهامات الجليلة لتقنيات الفحص الإلكتروني و آليات البرمجة المعلوماتية التي تعمل بدورها على تخصيب و إرساء مناهج حديثة في المعالجة الإحصائية للنصوص الأدبية. بالمقابل، يعد الأدب، لحد الساعة، المجال الوحيد الذي لم تطغ عليه الآلة بعد و ذلك لكونه فن قديم و عريق لا يمكن لغير العقل البشري أن ينتجه، يقرأه و يفهمه، و عليه، فكيف للآلة أن تتدخل في تحليل نص هو وليد مخيلة بشرية؟. هذا السؤال بالتحديد، هو الذي دفع

---

[1] نور الدين السد : الأسلوبية و تحليل الخطاب صفحة 115.

[2] المرجع نفسه، صفحة 115.

[3] المرجع نفسه صفحة 113.

الكثيرين إلى رفض فكرة اجتماع الآلة بالأدب رفضًا باتًا، مع أن هناك، من المختصين، من يراهنون على المساهمة المثرية للآلة في "دعم" المعالجة النصية للأدب و ليس القيام بها كلية مع الاستغناء عن العامل البشري، فالمعالجة الأدبية، عمومًا، تصبو إلى استنطاق النص و الخروج منه بجملة من القراءات التأويلية و هو الأمر الذي ليس بمقدور أكثر البرامج تطورًا القيام به.

إن أهم إسهام للإعلام الآلي في حقل الدراسات الأدبية، هو إدراج المنهج الكمي أو الإحصائي في معالجة هذا النوع من النصوص، إذ تسمح هذه المناهج بترجمة المعطيات النصية إلى أرقام، جداول ورسوم غرافية، و هي تفتح بذلك المجال أمام الباحث لاستثمار أهم مبادئ و إجراءات "القياس الأسلوبي" أو التقويم الكمي للأسلوب الذي يميز كاتب ما عن سواه، بدلاً من اللجوء إلى الأحكام الشخصية البعيدة عن الموضوعية و الصادرة في أغلب الأحيان عن "الحدس" و التجربة الفردية"، بالإضافة إلى هذا، ما من منهج بإمكانه السيطرة على أسلوب النص أكثر من المناهج التي تعتمد على قراءة" العناصر المعجمية" (éléments lexicaux)، و بما أن النص هو جملة من الخصائص الإحصائية، فليس ثمة أفضل من هذه المقاييس لدراسة الأسلوب دراسة وافية و موضوعية، كما أن خصوصية هذه العناصر من حيث البنية و التكرار مثلا تسهلا عملية تقويمها كميًا، خاصة و إن كانت الأداة المستخدمة لهذا الغرض هي الآلة.

II.1.3.**المعالجة الآلية للنص:**

إن الإحصاء المعجمي لكلمات و مفردات نص ما تعد مهمة جد صعبة تتطلب الكثير من الدقة اللسانية، كما أنه أمر لا يخلو من الهفوات و الأخطاء، خاصة إذا ما تعلق الأمر بإحصاء آلاف الترددات في نص من 15000 إلى 20000 تردد، مثلا. في هذه الحالة، فإن الأمر يتجاوز القدرة البشرية، لذا فقد تم توكيل هذه المهام الحساسة و الدقيقة إلى الآلة و تتم هذه العملية في مرحلتين أساسيتين : الأولى يقوم فيها الباحث (اللساني) بتحديد واختيار القاعدة المعجمية التي ستتم معالجتها، و في مرحلة ثانية يقوم الإعلامي (L'opérateur) باستثمار هذا الخيار، و إدراجه في الحقل العملي، و ذلك بتسجيل النص و برامج المعالجة اللازمة، و كذا وسائل المراقبة الأوتوماتيكية التي تقوم برصد الأخطاء، تصحيحها، أو إزالتها تمامًا.[1]

---

[1] Charles Muller. : Principes et méthodes de la statistique lexicale P33.

و عليه، فإن المعالجة الأوتوماتيكية للنصوص هي ثمرة التعاون و التنسيق المشترك بين اللسانين و الإعلاميين، أي أنها تجمع بين الكفاءة اللسانية و الخبرات الإعلامية و من الطبيعي أنه كلما كان أحد الطرفين على إطلاع و معرفة أكبر بالطرف الآخر، كلما عاد ذلك بالفائدة الجمة و المرد ودية الطيبة على نتائج هذه العملية.

و في ظل التطور الرهيب للبحث في مجال القياس المعجمي، مناهج الإحصاء النـــصـــي و كذا الميكرو– معلوماتية، يمكننا اليوم الفهم الأفضل لخصوصية أوجه المقاربة اللسانية – الآلية للنصوص الأدبية من مختلف زواياها.

إن المعالجة الآلية للنصوص هي عملية تخاطب و تحاور تتم بين الإنسان و العقل الإلكتروني، و هي عملية تتطلب تزويد ذاكرة الحاسوب بجملة من القواعد و القوانين التي تساعد على اختراق النص وبنيته، فالحاســوب قد أصبــح في يومنا هذا من أهم أنظمة تخزين المعلومــات و تنظيمها و معالجتها، و من ثمة استغلالها في مختلف مناحي الحياة اليومية[1].

II.2.3. البرمجة الآلية للخصائص الأسلوبية :

في ظل القفزات العلمية و الفكرية الكبيرة التي تحققت بفضل الإسهامات الآلية في مختلف المجالات، كان من الطبيعي للأدبيات أن تستفيد بدورها من هذه الخدمات، و يشير "مازن الوعر" أن **الحاسوب يعمل كأداة عامة تساعد في معالجة النصوص اللغوية و في توليد الفهارس المبنية على نظام يعرف بـــ (K.W.I.C) و يمكنه تحقيق مهام عديدة في المجال كحساب نسبة حدوث الكلمات في نص لغوي معين**"[2]. هذا يعني أنه إذا ما اعتبرنا الأسلوب محصلة معدلات تكرار الوحدات اللغوية القابلة التحديد الشكلي، فإن هذه الوحدات يمكن بطبيعة الحال إحصاؤها و إخضاعها لعمليات رياضية دقيقة، يكون اللجوء فيها إلى الآلة أفضل بديل للجهد البشري الذي قد يبذل دون جدوى و دون الوصول إلى نتائج سليمة و دقيقة، و هو أمر

---

[1] عمار زعموش : "الحاسوب و تعلم اللغة العربية"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 12، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ديسمبر– 1999، 218–219.

[2] مازن الوعر : دراسات لسانية تطبيقية : طالاس للدراسات و الترجمة و النشر الطبعة الأولى 1989، دمشق – سوريا صفحة 329.

يؤكده "صلاح فضل في قوله": "من الممكن استخدام حاسب إلكتروني للتحديد الكمي لدرجة كثافة النص و معدلات تكرار هذه العناصر اللغوية المتميزة فيه[1].

تأسيسا على ما سبق ذكره، يمكننا القول أن المعالجة الإحصائية الآلية تعتمد بالدرجة الأولى على التقويم الكمي للخصائص الأسلوبية عند مؤلف ما وبرمجتها آليا، حيث تظهر هذه الخصائص على شكل ملامح أو مؤشرات أسلوبية يعرفها بعض العلماء على أنها **تلك العناصر اللغوية التي تظهر فقط في مجموعة سياقية محددة بنسب تتفاوت في معدلاتها كثرة و قلة من حال إلى أخرى**[2]. وبطبيعة الحال، فإن الحاسوب يعتمد، لا محالة، في هذا المقام، على النموذج الإحصائي الذي يأخذ به العالم اللساني من أجل المعانية الآلية للمواد اللغوية.

إن البرمجة الآلية للخصائص الأسلوبية تقوم على أسس ثلاثة تتمثل في معرفة اللغة و قواعدها، توظيف المنهج الإحصائي كأداة و استخدام الآلة أو الحاسوب، و ينتج عن هذه البرمجة إنشاء قواعد بيانية آلية ضخمة للكلمات في أجزاء كبيرة من أدب مختلف اللغات و التي يصبح من الممكن استثمارها لاحقًا في أعمال أسلوبية إحصائية مختلفة.

ففي الأدب الإنجليـــزي مثلا قواعـــد بيانيـــة جاهـــزة لـــ " تشوسر"، "شكبير" و "وردز ورث" و غيرهم، و في جامعة كليفلاند توجد مدونة تدعى بمدونة نثر القرن و التي تحوي نصف مليون كلمة للفترة الممتدة بين 1680 و 1780، كما قام الفرنسيون بإنشاء قاعدة ضخمة تضم سبعين مليون كلمة سموها "كنز اللغة الفرنسية" (TLF) ، و لتوسيع إمكانيات استغلالها، فقد تم إصدارها مطبوعة على الورق[3]

---

[1] صلاح فضل : علم الأسلوب : مبادئه و إجراءاته. دار الشروق – مصر، الطبعة الأولى 1998، صفحة 257.

[2] صلاح فضل : المرجع السابق، صفحة 260.

[3] ينظر : المختار كريم : الأسلوب و الإحصاء، صفحة 178.

الفصل الثالث

مقارنة إحصائية للأسلوب السارتري

بين لغة الإنشاء و لغة الترجمة

-الجدار- نموذجا

I.فلسفة الأدب و أدب الوجود

1.I.الأدب و فلسفـــــة الوجـــــــود:

1.1.I.ماهيـــة الفلسفـــة الوجوديـــة

لقد ورد في إيتيمولوجيا مصطلح "الوجودية" أنه تم اشتقاق لفظة "existentialisme" في الفرنسية سنة 1923 عن مصطلح " الوجود" (existence) الذي يعود الأصل فيه إلى الكلمة اللاتينية " existence".

الوجودية تيار فلسفي يعالج العديد من القضايا الفكرية كالوجود الفردي، الحريات، الخيارات الشخصية و غيرها من التيمات التي تناولها فلاسفة و كتاب القرن التاسع عشر و القرن العشرين سنة 1940 بصدور كتاب " الوجود و العدم" لسارتر، غير أنه يمكن رصد أثر الوجودية في أعمال العديد من فلاسفة و كتاب عصر ما قبل الحداثة.

و إذا كانت جذور هذه الفلسفة تعود في الأصـــل إلى أفكار " هيجل" ، " كيير كيقار"، " هوسرل" و " هيدجر"، فإن "سارتر" أضفى عليها صبغة أدبية خاصة سيطرت على جيل برمته، خاصة بعد استثماره لأحد أهم المفاهيم الوجودية، و المتمثل في "الفينومينولوجيا" ، و يقوم هذا المنهج الذي أسسه " هوسرل" و طبقه أحد أعمدة الفلسفة الألمانية " هيدجر" على اعتبارات خاصة تهتم بالموجودات من حيث الظاهرة التي توجد عليها، أي أن مجمل حقيقة الشيء و واقعه يتجسد في ظاهرة، من ثمة، فإن اهتمام الوجودية بالإنسان هو اهتمام بواقعه وتجربته البشرية الفردية التي يصنع فيها قراراته و يجني عبرها ثمار خياراته و حرياته، كما تهتم به من حيث هو فرد ملتزم في المجتمع لا يعرف الهروب و لا الانطواء على الذات.

إن الوجودية هي معتقد فلسفي أي جملة من الآراء التي يتم تقديمها كحقائق و ليست مجموعة من المعارف التي يمكن تفحصها بشكل تجريبي و الموضوع الرئيسي في هذه الفلسفة هي " الوجود الإنساني": "الوجودية صبغة إنسانية".

I.2.1.أهــم تيمــات و مبــادئ الفكــر الوجــودي

إن الموضوعات الأساسية التي تصنع لب الفكر الوجودي هي موضوعات محددة يلخصها " جون ماري غريفيلو" (Jean Marie GREVILLOT)[1] في كتابة " التيارات الكبرى في الفكر المعاصر" (les grands courants de la pensée contemporaine)، و هي في مجملها تدور حول فكرة أن وجود الفرد أو عدمه هو احتمال وارد، و من ثمة فليس هناك من مبرر مقنع لوجوده في هذا العالم، كما أنها تصر على عجز العقل البشري في الاطلاع على مصيره و أن عليه أن يتصرف وفق ما تمليه عليه روحه العميقة. بالإضافة إلى هذا، فإن ضعف الكائن البشري يعد من التيمات الأساسية في الفكر الوجودي، فالإنسان معرض دوما إلى الإحساس بالضياع والانكسار ولا يمكنه التغلب على شعوره بالقلق و الإحباط إلا من خلال العمل وبذل الجهد في سبيل تحقيق ذاته، فالوجودية ليست فلسفة راحة وإنما هي فلسفة تدعو الإنسان إلى بناء حياته بكل عزم وجدية وتحثه على تخطي كل حالات اليأس والضياع ففي الإحساس بالضياع فقدان للقدرة على التحكم بالذات، الشيء الذي قد يجعل الإنسان يقدم على تدمير نفسه بنفسه. وعليه،فإن التسلح بالوعي والتصميم يصبح حتمية لا مفر منها، ويصبح الالتزام نتيجة منطقية لحرية الإنسان وقدرته على اتخاذ القرارات المناسبة في حدود ما تسمح به حرية الآخرين، فالإنسان هو كائن اجتماعي أو"un être avec" حسب هيدجر.

أما الموت بالنسبة للوجوديين فهو الحقيقة الوحيدة التي لا مفر منها وهو النهاية الحتمية للحياة التي كثيرا ما يشعر فيها الإنسان بالوحدة والعزلة.

I.3.1.أثــر الوجوديــة في الكتابــة الأدبيــة

يعد "جون بول سارتر Jean Paul SARTRE" من أعمدة الوجودية واليه يعود الفضل في التأسيس الأدبي لهذا المذهب الفلسفي في مجال الكتابة الإبداعية والخلق الفني وذلك في مختلف الأجناس النثرية كالقصة، الرواية، المسرح وحتى السينما. لقد كان للأعمال الضخمة والشخصية

---

[1] GREVILLOT Jean Marie - Les Grands Courants De La Pensée Contemporaine - Existensialisme - Marxisme - Personnalisme Chrétien, Editions Du Vitrail, Paris, 194,8 page 218-221.

القوية لسارتر الأثر العميق في أدب ما بعد الحرب، فبعد أن كادت تسمية "أدب الوجود" أن تقترن، في الأربعينات، بأدب "غبريال مارسال Gabriel MARCEL"، وبعد أن شاعت في مقالات العديد من الصحفيين، عرف هذا المصطلح البعث من جديد على يد "سارتر" الذي تبناه بكثير من التحفظ وقليل من الحرص[1] .لقد عرف سارتر كيف يسخر الوجودية لخدمة الأدب والأدب لخدمة السياسة والسياسة لخدمة المبادئ ليجعل بذلك من الكفاح والنضال، في مختلف مجالات الحياة، خيار فردي والتزام شخصي قبل أن يكون الأمر قضية مجتمع أو رأى عام، فاستطاع من ثمة أن يضفي على الوجودية صبغة تفاؤلية.

ضف إلى ذلك أن سارتر لعب دورا هاما في تبسيط معاني الوجودية الغامضة وفي إيصالها إلى عامة الناس وخاصتهم، بل وقد أسهب من خلال أعماله في وضع العديد من المفاهيم الفينومينولوجية للعديد من القضايا الوجودية، وذلك إثر الفترة العصيبة التي عرفت تصاعد الفاشية والنازية، ثم الاحتلال الألماني لفرنسا، لتنتهي بفجائع الحرب العالمية الثانية.

ولعل الخطوة الحاسمة التي قام بها سارتر خلال مسيرته النضالية هي إرســـاء مبـدأ الالتـزام في الأدب خاصـــة بعد تأسيـــس مجلة "الأزمنة المعاصرة Les temps modernes " فبالنسبة لسارتر، فإن الكاتب مسؤول عن كل ما يكتبه وهو يلتزم من خلاله تجاه معاصريه، ومن ثمة فإنه يخاطبهم ويشارك في نضالهم من خلال كتاباته. انطلاقا من هذه الفكرة تفرع مفهوم جديد للأدب جسده سارتر من خلال كتابه " ما الأدب ?Qu'est-ce la littérature "، والجديد الذي جاء به هذا الكتاب هو الأهمية البالغة التي يعطيها سارتر للكاتب والقارئ معا، إذ أن العمل الأدبي لا يتجسد إلا من خلال التفاعل بينهما، وهكذا ولد " مفهوم سوسيولوجي للأدب " يتحول من خلاله الفعل الأدبي إلى ظاهرة اتصال وتواصل.

بالإضافة إلى القيمة المعنوية والفنية لمذهب الوجودية في الكتابة الأدبية، فقد اثبت هذا التيار الفلسفي نجاعته كمنهج تحليلي في دراسة الملامح الباطنة ووصف حالات القلق والارتباك التي تتميز بها شخصيات هذا النوع من الأعمال. ومن خلال المقارنة التي يقوم بها عبد الرحمان بدوي بين هذا المنهج والمنهج التأويلي يتبين أن: " هذا النوع من التحليل لا يفسر الأعلى بالأدنى، ولا يضطر على التأويلات المغالية مما أسرف فيه الفرويدويون على أنفسهم وعلى

---

[1] Cf : E.Mounier,"Introduction aux existentialismes" ed. Gallimard, Paris, 1962

الأحوال النفسية العامة، لأن نهج التأويل خطر إلى أبعد حد، إذ هو متعدد الدلالة، ولا يمكن أن تستقر نتائجه على قاعدة ثابتة [...]. أما في التحليل الوجودي فالشخصية تؤخذ في موافقها: أولا موافقها النهائية التي تفرض على الموجود فرضا فلا يملك لها دفعا ولا تغييرا [...] وثانيا موافقها اللانهائية، أي تلك التي تتولد من أنواع السلوك التي يجري عليها المرء في حياته، وفي هذه يكون مجال الحرية "[1].

إن فلسفة الوجود لا تهمنا في هذا المقام إلا من حيث هي تعطي للأدب وجها جديدا، وتحاول تقليص الهوة بين الفلسفة والأدب، وهذا بالتحديد ما تجسده أعمال العديد من فلاسفة الوجود كـــ : "مارتن هيدجر" مثلا، الذي كثيرا ما يربط بين البحث الميتافيزيقي والتحليلات الشعرية.

من جهته، فإن الأدب أصبح بمثابة المسألة الميتافيزيقية في مجال الدراسات الفلسفية، وإذا كان "الغثيان" من أروع ما كتب في جنس الرواية، فما هو في الحقيقة إلا مذكرة ميتافيزيقية، وما استرسال " روكونتا Roquentin " في التفكير بجذور شجرة في حديقة عمومية إلا من باب التخمينات الفلسفية.

لقد أصبحت الوجودية من أهم التيارات البارزة في الحركة الأدبية بفضل العديد من الفلاسفة الذين وجدوا في الأدب وسيلة للتعبير عن الفكر الوجودي. فروايات الكاتب الشيكي "فرانز كافكا Franz KAFKA " كالمحاكمة 1925" مثلا أو "القصر 1926"، تصور الأشخاص كأفراد يعيشون في عزلة ويصارعون في تحدي مضني البيروقراطية اللاملموسة والمتربصة بهم، بالإضافة إلى هذا فان مواضيع "الحيرة"،"القلق"، "الشعور بالذنب"و"الوحدة" تعكس بشكل كبير تأثير أفكار " كيركيجار KIEKEGAARD "، "دوستوفسكي DOSTOIEVSKI " و " نيتشه NIETZCHE " في أعمال "كافكا" وكتاباته.

---

[1] بدوي عبد الرحمان، دراسات في الفلسفة الوجودية، صفحة 268-269

Voir aussi : J. Bersani ; M.Autrand, J.Lecarne, B.Vercier : Littérature après 1945, Page 10.

يمكننا أيضا أن نلمس أثر الفكر الوجودي في روايات "أندري مالرو André MALRAUX " ومسرحيات سارتر، كما تصنف معظم أعمال"كامي A.CAMUS" ضمن الأعمال الوجودية نظرا لما عالجه من مواضيع تنتمي لحركة الفكر الوجودي كالعبثية الظاهرة واللامبالاة التي تعم الوجود وضرورة الالتزام لصالح غاية محددة وصادقة، وهي المواضيع ذاتها التي نجدها تتردد في مسرح العبث عند "سمويال بيكات Samuel BEKETT " مثلا و" أوجان إيونيسكو Eugène IONESCO ."

2.I.سارتر في مغامرة الوجود بين الأدب والعبث

1.2.I.سارتـــــــــــر

ولد جون بول سارتر بباريس في 21 جوان 1905 وترعرع بين أحضان والدته الكاثوليكية وجده البروتيستاني شارل شويتزر Charles SCHWEITZER، وبعد التحاقه بثانوية لاروشال La Rochelle حصل على شهادة في الفلسفة وذلك سنة 1929.

تجدر الإشارة إلى انه في تلك الفترة، التقى سارتر بأهم رفقاء دربه، نذكر من بينهم بول نيزان Paul NIZAN، ريموند أرون Raymond ARON و جورج كانقيلهم GEORGES CANGUILH، بالإضافة إلى سيمون دي بوفوار Simone De BEAUVOIR التي التقى بها سنة 1926.

سنة 1929 تم تعيينه كأستاذ بثانوية الهافر (Havre)، ولكنه ما لبث أن سافر إلى برلين سنة 1933، ليستقر فيها مدة سنة كاملة ويعود بعد ذلك سنة 1934، وقد اغترف من فكر "إيدموند هوسرل" Edmund HUSSERL، و" مارتن هيدجر Martin HEIDEGGER كفاية. وتبدو بصمة هذين الأخيرين جلية من خلال المحاولات الفلسفية التي كتبها إثر عودته إلى فرنسا من بينها " L'imagination " 1936 و " Exquise d'une théorie des émotions" سنة 1939 التي مهدت لظهور " الفينومينولوجيا " و " الوجودية " الألمانية في فرنسا[1].

[1] www.ac-strasbourg.fr/pedago/lettres/sartrebio-htm / consulté le 15 Mars 2007 à 15 :38mn.

مباشرة بعد إصداره لقصة " ايروسترات" Erostrate سنة 1936، سافر سارتر إلى إيطاليا أين كتب رواية Mélancholia والتي رفضت دور النشر "غاليمار Gallimard " نشرها تحت هذا العنوان، فصدرت تحت عنوان"الغثيان La nausée " سنة 1938 متبوعة "بالجدار Le mur " سنة 1939. في نفس السنة، تم تجميد كل نشاط سارتر ليزج به في السجن مدة سنة كاملة، وبعد أن أطلق سراحه سنة 1940، التحق بتيار المقاومة الوطنية وبالتحديد "الجبهة الوطنية" ثم قام بتأسيس حزب "الاشتراكية والحرية"، ممارسا في الوقت ذاته كامل عضويته في "اللجنة الوطنية للكتاب".

سنة 1943 اصدر سارتر مؤلفه الموسوم بـــ "الوجود والعدم L'être et le néant " والذي يعد مرجعا أساسيا في الوجودية الملحدة، ثم قام باقتباس كتابه " الذباب Les mouches " و"الجلسة السرية Huis clos " للمسرح واصدر أول جزئيين من "دروب الحرية Les chemins de la liberté" والمعنونان بـــ "سن الرشد L'âge de raison" و" وقف التنفيذ Sursis"، ليؤسس بعدها مجلة "الأزمنة الحديثة Les temps modernes " سنة 1945 معتزلا التدريس إلى الأبد. في نفس السنة التي ألقى فيها محاضرته الشهيرة " l'existentialisme est humanisme الوجودية نزعة الإنسانية"، أي سنة 1946، قام سارتر بإخراج "العاهر المحترمة Le putain respectueuse" للمسرح ونشر كتابه الموسوم بـــ "أراء حول المسألة اليهودية Réflexions sur la question juive" .

سنة 1948 أصدر "الأيادي الوسخة Les mains sales" وأسس "الاتحاد الديمقراطي الثوري" غير أن هذا المشروع ما فتئ أن باء بالفشل، بعدها بسنة، أي في 1949 اصدر سارتر"محاولات حول بودلير Les essaies sur Beaudlaire "، وقام بنشر كتابه " La mort dans l'âme" وهو الجزء الثالث من سلسلة "دروب الحرية" أما في سنة 1951 فقد كتب "الشيطان و الإله Le diable et le bon dieu " للمسرح[1].

[1] Voir même site www.ac-strasbourg.fr/pedago/lettres/sartrebio-htm.

لقد ناهض سارتر وبشدة الحرب في الاندوشين وأعلن عن ذلك جهرا من خلال نشره لقضية أونري مارتين "L 'affaire Henri Martin " سنة 1953، كما أنه عارض الحرب على الجزائر وأبدى مساندته التامة للشعب الجزائري في مسيرة نضاله في سبيل الحرية.

بعد عودته من رحلة السفر التي قادته إلى إيطاليا و روسيا، قام بتأليف مسرحية "نيكراسوف Nekrassov " سنة 1955، ليشد الرحال ثانية إلى الصين، يوغسلافيا واليونان.
بالإضافة إلى هذا، فقد قام سارتر سنة 1968، قام بدعم العديد من الحركات اليسارية ومنظماتها الإعلامية.

و بعد تأليفه لمسرحية " المحتجزون بألتون" (Les séquestrés d'Altona) سنة 1959، سافر سنة 1960 إلى كوبا أين كتب مؤلفه " نقد العقل الجدلي" (Critique de la saison dialectique) و الذي كان بمثابة تتمة لكتابه "الوجود و العدم". أما في 1964 فقد رفض استلام جائزة نوبل للأدب و أصدر كتابه "الكلمات"(Les Mots) ، ليقوم سنة 1971 بنشر "غبي العائلة" (L'idiot de la famille) و هي دراسة جد هامة حول "فلوبير" (Flaubert).

بعد إصابته بمرض عضال، اضطر سارتر إلى التخلي عن نشاطه السياسي و الإبداعي و توفي سنة 1980.

إن "الوجود"، "التاريخ" و "الكتابة" هي من أهم المحـــاور التي تدور حولها الكتابة "السارترية"، و مهما يكن من النتاج الأدبي و التعليمي عند سارتر سوءا في جنس المقال، الرواية، القصة القصيرة أو المسرح، فإنه مبني برمته على فلسفة واحدة و وحيدة هي فلسفة "الوجود"[1].

و إذا كان الهروب من الواقع شيء مستحيل كما يعبر عنه سارتر في "الجدار"، فإن محاولة الهروب في حد ذاتها تعد طريقة أخرى للوجود (l'existence est un plein que l'homme ne

[1] http://www.alalettre.com/sartre-bio.php / site consulté le 22 avril 2007 à 16h45mn.

peut quitter) لقد حاول سارتر بكل شكل من الأشكال أن يربط بين العمل الأدبي و الالتزام السياسي، حتى و إن كان النشاط السياسي في الخمسينيات، قد عرف تصاعدا مقارنة بالكتابة الأدبية عند هذا الأخير، و إن كان "سارتر" قد أهمل " العنصر التاريخي" في الفترة الممتدة مابين 1925 و 1944، فإنه عشية الحرب العالمية الثانية، أدرك جيدا ضرورة تجاوز الضمير الباطن الحر و العاجز عن تحريك العالم، لتبني قوى ناشطة و حركات فاعلة بإمكانها التصدي لما يحدث في العالم و التغيير فيه.

أما عن السبب الرئيسي الذي جعل "سارتر" يميل إلى "الكتابة المسرحية"، فهو كون المسرح وسيلة ناجعة تمكن الكاتب من نشر أفكاره في أوساط مختلفة و بشكل فعال من خلال جمهور متعدد الانتماء، و قد استطاع بفضل هذا الأخير أن يتطرق إلى العديد من المواضيع الحساسة التي تمس الفرد و الجماعة على حد سواء، ففي مسرحية "الذباب" (Les mouches) مثلا: نجده يعالج "قضية الحرية" و بالتحديد أزمة حرية الضمير الفردي، مع العلم أن هذه المسرحية تشغل في المسرح السارتري نفس المكانة التي يشغلها "الغثيان" في جنس الرواية، كذلك الحال بالنسبة لمسرحية "الجلسة السرية" التي تضاهي و تعادل في قيمتها الموضوعاتية القيمة الموضوعاتية و الإيديولوجية لـــ "الجدار" في جنس القصة القصيرة.

إن المقاربة السارترية لفعل الخلق الإبداعي لم تكن البتة مقاربة شكلانية وإنما هي مقاربة تنطلق من منظور الأثر الذي يمارسه الأدب على المجتمع. من هنا، كتب سارتر مجموعة من المقالات التي صدرت تحت عنوان "وضعيات Situations" والتي جاءت فيها نصوص حول " فولكنر Faulkner" "دوس باسوس Dos Passos"، "جيرودو Giraudoux"، "موریاك Mauriac" "نيزان Nizan" وغيرهم. ولعل من بين أهم هذه المنشورات الصادرة لاحقا في شكل كتاب تلك المعنونة بـــ "ما الأدب Qu'est-ce la littérature".

تجدر بنا الإشارة في هذا الصدد إلى أن "الكلمة" عند سارتر هي فعل La parole est l'action" بمعنى أن الكتابة التزام، وانه على الكاتب إدراك مهامه أتم الإدراك والمساهمة في زرع الوعي بالمسؤولية في نفوس قراءه مع حثهم على تغيير الأوضاع المتدنية والتصدي لها.

كل هذا بفضل "الكتابة" وممارسة الكاتب لحريته المطلقة التي تخاطب حريات أخرى وتعرض عليها اتجاهات وحلول مختلفة قصد معالجة شتى القضايا التاريخية، السياسية والفكرية التي يعرفها عصره وزمانه.

I.2.2.سارتـــــــــر وأدب الالتـــــــزام

يقوم الالتزام عند الكاتب أو الفنان على المشاركة الفعالة في الحياة السياسية والاجتماعية، انطلاقا من قناعاته الشخصية ومن خلال تجنيد فكره أو فنه لخدمة هدف معين، أو من خلال اتخاذ موقف محدد تجاه قضايا عصره الكبرى. ويعبر سارتر عن هذا الالتزام بقوله:

"… Je dirai qu'un écrivain est engagé […] lorsqu'il fait passer pour lui et pour les autres l'engagement de la spontanéité immédiate au réfléchi"[1]

أي انه لا يتهاون البتة في الدفاع عن مبادئه والنضال في سبيل تحصين فكره وفكر من يؤمنون بنفس قضيته.

كثيرا ما يحيل مصطلح "الالتزام" و "الأدب الملتزم" إلى مفهوم النضال في الأدب الذي نشأ في الثلاثينات والذي عرف النور بفضل الفلسفة الوجودية والفكر الماركسي،وإذا كانت هذه التسميات عادة ما ترتبط باسم "جون بول سارتر"، فهذا لا يمنع أنها كثيرا ما تشير إلى النصوص القديمة التي كتبت لخدمة خطاب أخلاقي أو سياسي يهدف إلى التأثير على المجتمع[2].

أن ينعت "أدب الالتزام" بالأدب الشعبي فهذا لا يعني بالضرورة انه نتاج الفكرالتلقائي للطبقات الشعبية الكادحة أو يكتب بعيدا عن مؤسسات ومعاهد الأدب الراقي، وإنما لكونه أدبا يهدف إلى تفعيل حركة المقاومة الشعبية لتحرير مختلف الطبقات، الثقافات

---

[1] Jean Paul Sartre، situation II، éditions Gallimard، Paris 1947، P123

[2] Boisdeffre، Pierre، histoire de la littérature de la langue française des années 1980، Perrin، Paris، 1985 Pages 45-47

والمجتمعات المضطهدة ودفعها نحو التقدم و الرقي، وعليه، فان الالتزام هونتاج لطريقة تفكير معينة تجاه قضية معينة تخص مجموعة بأكملها، وهي من ثمة تحمل رسالة محددة ترتبط بايديولوجيا تم التأسيس لها مسبقا.

إن أدب الالتزام هو أدب تعليمي يعمل على خلق نوع من الوعي الفكري الذي يدفع الفنان إلى تسخير فنه و أدبه لخدمة هدف معين من خلال تقديم دروس و إعطاء رؤى جديدة للعالم، فأن يلتزم المفكر أو الكاتب معناه أن يكون قادرا على خلق فكر نقدي يخص المجتمع الذي يعيش فيه أو الحركة السياسية التي يروج لها هو في حد ذاته و أن يكون قادرا على الدفاع عن مبدأه مهما اقتضت الضرورة.

و إذا كانت المعاني المستخدمة في القرن العشرين لمصطلح "الالتزام" لا تقصى مبدأ الالتزام الشخصي للأديب تجاه الثورة الشيوعية، حتى و إن لم يشارك فيها فإنها في يومنا هذا تتعداه إلى كل إبداع يرتبط بمشروع تقدمي يمس المجتمع و يساهم في تحوله و إلى مجرد المناهضة الصريحة للانتهاكات الممارسة من قبل نظام سياسي معين، و هذا بالتحديد ما يقودنا إلى الحديث عن "جمالية الالتزام L'esthétique de l'engagement " التي تنشأ عن تفاعلات المجتمع وتطلعاته وتتجسد عبر فعل أدبي أو سياسي منظم في حركة تنشط بفضل الحماس الذي يوظف لصالح كل ما هو جميل، نافع وفعال، وفي هذا السياق يصرح سارتر أن:

" L'écrivain contemporain se préoccupe avant tout de présenter à ses lecteurs une image complète de la condition humaine. Ce faisant، il s'engage. On méprise un peu، aujourd'hui، un livre qui n'est pas un engagement. Quant à la beauté، elle vient par surcroît، quand elle peut" [1].

إن مشروعية الالتزام في الأدب السارتري تأتي من قناعة هذا الأخير بان الإنسان مسؤول عما يكون عليه نظرا للحرية التي يتمتع بها والتي تمنحه الحق في الاختيار واتخاذ القرارات. هذه القرارات قد تنعكس نتائجها سلبا أو ايجابا على غيره من البشر، وبطبيعة

[1] Jean Paul Sartre، Situation I، Editions Gallimard، Paris 1947، Page 310

الحال يفترض به أن يختار ما يرى فيه خيرا لنفسه، و من ثمة فسينعكس فعله خيرا على سائر بني ملته، فبتشكيلنا لصورة أنفسنا نحن نشكل في الوقت عينه صورة الإنسان.
و هكذا نرى أن مسؤوليتنا أكبر جدا مما نظن، لأنها تلزم الإنسانية كلها" [1].هذا يعني أن الإنسان مرادف لمجموع أفعاله التي تتجسد من خلال أعماله الفنية و العلمية و هذا بالتحديد ما جعل سارتر يتعامل مع الأدب بعبقرية فذة و وعي جامح.

تعد سنة 1945 منعطفا حاسما في الأدب السارتري، إذ راح ذلك الأديب الذي كان يؤمن "بالمطلق" و يضعه في قلب أدبه، يختفي شيئا فشيئا ليحل محله رجلا أكثر التزاما تجاه ما يحدث حوله من وقائع تاريخية و ليتجسد ذلك كله من خلال نشاط سياسي لا يستهان به.
و لأن سارتر سلم بحقيقة أنه ليس هناك من "مطلق" و أن كل المشاريع هي عبارة عن أفعال نسبية، فإن هذا الأخير أقام علاقة خاصة مع الأدب دون أن يعلن القطيعة معه، و قد عبرت "سيمون دي يوفوار" عن المسار التحولي في الكتابة الأدبية عند سارتر على لسان أحد أبطال كتابها "Mandarins" فقالت:
" Il condamnait même la littérature … Il opposait au vieil humanisme qui avait été le sein un humanisme plus neuf plus réaliste، plus pessimiste، qui faisait une large part à la violence، et presque aucune aux idées de justice de liberté، de vérité، il démontrait victorieusement que c'était là le seule morale adéquate au rapport actuel des hommes entre eux، mais pour l'adopter، il fallait jeter tant de choses par-dessus bord que personnellement il n'en était pas capable". [2]

I.3.2.أبعـــاد الانطولوجيـــة السارتريـــة

إن البعد الأساسي في الفكر الوجودي عند سارتر ينبني على نقطة أساسية مفادها أن الوجود ينقسم إلى جزئين أساسين: أما الأول فيخص"الوجود في الذات L'en-soi " ويمثل الوجود الخام أي وجود الطبيعة الذي لا حجة ولا سبب له، بمعنى أن هذا الوجود المحض ما هو في الواقع إلا عبث وهو في الوقت ذاته يشكل مجال الذات ومن ثمة فالإنسان جزء منه، فجسده، أنانيته وماضيه، كلها عناصر تجسد هذا الانتماء، أما الموت، فهو العنصر

---

[1] بدوي عبد الرحمن: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر –بيروت لبنان– طبعة الأولى 1980، صفحة 262

[2] Cf.j. Bersani، M. Autrand، J. Lecarme، B.Vercier: La littérature en France depuis 1945، Bord، Paris، 1970، page 52.

الذي يثبته للأبد في "ذات ما" أو "فيما كان" أي ما يجعله وجودا في الماضي.أما الشطر الثاني من الوجود فيمثل "الوجود للذات Le pour-soi " ويخص الإنسان المتشبع بالمعرفة والحائز على حريته، إنه وجود الضمير الذي لا يتحقق إلا من خلال علاقته بمحيطه، فهو ليس على الإطلاق، كائنا منغلقا على ذاته، بل على العكس تماما، فهو حر يمتلك القدرة على الخلق الذاتي ومن ثمة فإن الإنسان قادر على خلق نفسه بنفسه وخلق وجوده، أفكاره المثالية وقيمه، "وفي عالم ما بين الذوات، يقرر ماذا يكون هو، وماذا يكون الآخرون"[1] . ويعبر عن ذلك من خلال أفعاله الحرة أي من خلال مشروعه الخاص الذي ينتقل عبره إلى وضع مغاير ويصل من خلاله إلى القيم التي يتبناها والأهداف التي يصبو إليها، فالإنسان لا يخلق حريته، وإنما هو مضطر لممارستها وإثباتها، فرفض الاختيار هو في حد ذاته اختيار أو كما يقول سارتر: "L'homme est condamné à être libre".

إن سارتر من خلال هذه النظرة، يعطينا رؤية تقنية للعالم بالمقارنة مع وجود الذات البشرية التي يصنعها الكائن البشري بنفسه ولنفسه، فصانع الشيء مثلا عليه أن يعرف طبيعة هذا الشيء و ماهيته أولا، قبل أن يقدم على صناعته، وفي هذه الحالة فان الذات تسبق الوجود. أما في حالة الإنسان فهو لا يصنع – من زاوية الإلحاد السارتري– انطلاقا من مخطط أو نموذج ذو طبيعة محددة.

فليس هناك من طبيعة بشرية والإنسان يحقق ذاته بشكل مستمر من خلال قراراته الإرادية الحرة، وهذا بالتحديد ما يبرر عند سارتر فكرة أن الوجود يسبق الذات، بعد أن كان الرأي السائد في الفلسفة هو العكس أي أن الماهية تسبق الوجود وان صورة الخلق موجودة في عقل الخالق قبل وجوده في العالم، غير أن الوجودية السارترية ترفض هذا الرأي فيما يتعلق بالإنسان : " فالإنسان يوجد أولا، ويصادف، وينبثق في العالم، تم يتحدد من بعد، فالإنسان في أول وجوده ليس شيئا ولا يمكن أن نحده من بعد، وعلى ذلك فليس ثمة

---

[1] Sartre،J.P:L'existentialisme est humaine،Edition Nagel،Paris،1996،Page 67

طبيعة إنسانية، بل الإنسان كما يتصور نفسه وكما يريد نفسه وكما يدرك نفسه بعد أن يوجد، وكما يشاء هو بعد هذه الوثبة نحو الوجود"[1]

I.3.الجـــــــــــدار:

I.1.3.القصة القصيرة في الأدب السارتري

I.1.1.3.القصة القصيرة:

ولدت القصة القصيرة الحديثة في أحضان الصحافة المكتوبة مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرون، بعد سقوط الإيديولوجيات الكبرى، لتؤكد على القيم الإنسانية التي تتوق إلى العدل والحرية وتنحاز إلى المظلومين والمهمشين محاولة إنصافهم والنجو بهم من مخالب الاضطهاد والقمع ولم يكن الأمر أنداك متعلقا بتغيير حجم النص المقروء فحسب:" **فالرغبة الملحة في التغيير لابد أن يكون وراءها دوافع جوهرية نابعة من متغيرات الحياة التي نعيشها**"[2] .

تعد القصة القصيرة من أهم الأجناس الأدبية التي تجسد فرضية تحرر الفرد من ربقة التبعية وتسعى إلى بعث الحريات الفردية الباطنة في الشعور والتفكير، وقد تطور هذا الجنس وذاع بسيطه في العالم بفضل الإسهامات القيمة للعديد من الكتاب وفي مقدمتهم "إدجار ألن بو" في أمريكا، "جوجول" في روسيا و"موباسان" في فرنسا، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الكتاب كـــ "زولا" و "تشيكوف"، أما في العالم العربي فقد عرفت الأقصوصة درجة عالية من النضج في كتابات يوسف إدريس في مصر، "زكريا تامر" في سوريا و "محمد المر" في الإمارات.

القصـــة القصيرة هي سرد قصصـــي درامي قصير تدور أحداثه حول شخصيـــة واحدة أو عدد محدود من الشخصيات في مساحة حبريه تقل عن عشرة ألاف كلمة أي ما يقل

---

[1] بدوي عبد الرحمان، دراسات في الفلسفة الوجودية، صفحة 262
Voir aussi، Encyclopédie Universalis، Article: Philosophie de l'existence، la découverte de l'existence، page 843.

[2] نبيلة إبراهيم: مستويات لعبة اللغة في القص الروائي، مجلة "الإبداع"، العدد 5، ماي 1984، صفحة 7.

عن 50 صفحة، وفي حيز زمني جد محدود لا يتجاوز في الغالب لحظة واحدة، انها "اللحظة القصة" التي يلتقط فيها القاص صورة مجهريه لنفسية شخصياته بكل تداعياتها السيكولوجية والروحية ويستثمر خلالها أبسط الدقائق والظواهر الوجودية من خلال الاستنطاق الصريح لذهنية وفيزيائية الشخصية في موافق ووضعيات معينة. ففن القصة القصيرة فن صعب لا يبرع فيه سوى الأكفاء من الكتاب القادرين على اقتناص اللحظات العابرة قبل انزلاقها على أسطح الذاكرة وتثبيتها للتأمل الذي يكشف عن كثافتها الشاعرية بقدر ما يكشف عن دلالتها المشعة في أكثر من اتجاه.

إن اصطدام القوى المتضادة، الطبع الانفعالي والتوتر هي من أهم السمات التي تميز شخصيات القصص القصيرة والتي تبحث كلها عن صوت تعبر به عن مكنونها الداخلي أو مكنون جماعة من أشباهها، فالوقائع الخارجية التي تحيط بشخصية القصة القصيرة ليست هي بالتحديد العنصر المفجر لوقائع هذه الأخيرة وإنما ردود أفعال هذه الشخصية في حد ذاتها ومواجهتها الخاصة لذلك الجدار الذي يفصل بين عالميها الداخلي والخارجي، ومن ثمة، نجد أن المؤلف يتوقف عندها بشكل مطول وعميق ليبين بشكل واضح مدى عمق النفس البشرية ومدى تعقيدها، وإذا ما غابت هذه الواجهة السيكولوجية عن لوحة القصة القصيرة، فان هذه الأخيرة لا تصبح سوى "حكي قصير" أو "أقصوصة مختصرة"[1].

ينظم النص القصير مادته بطريقة متميزة، حيث تتموضع العناصر القصصية الأساسية الواحدة مقابل الأخرى وفي شكل أزواج متضادة حسب الأقطاب الرئيسية في القصة، ويؤكد معظم المنظرين والكتاب أن الأقصوصة الموفقة هي تلك التي تنتهي بحدث غير متوقع أو ما يعرف "بالانقلاب القصصي" والذي يكون بمثابة "ضربة سوط" مفاجئة تقصف بموازين القصة وتقلب مجرى الأحداث لتصبح هي في حد ذاتها الحجر الأساس الذي تتبني حوله بقية المجريات والأحداث، وهنا، يصبح القارئ مضطرا إلى إعادة تأويل وقراءة النص من جديد وإعطاءه بالتالي معنى مغاير وحكم مختلف في إطار الثنائيات

---

[1] DELOFFRE، Frédéric:"la nouvelle en France à l'age classique، Paris، Didier 1967، page 130.
Voir aussi : ETIEMBLE René : "Problématique de la nouvelle، essais de littérature générale" Paris، Gallimard، 1975 page 220-236.

التيماتية المتضادة التي تترتب فيها المصطلحات المتضادة(كالكفر و الإيمان)، الشخصيات المتناقصة (كالحاكم و المحكوم) والطبقات الاجتماعية المختلفة (كالطبقة البورجوازية والطبقة العاملة)[1].

وإذا كانت اللغة، الوصف الحوار والسرد هي الأدوات الأساسية التي يتشكل عبرها نسيج القصة، فان استخدامها لا بد أن يكون عشوائيا، بل يجب توظيفها بطريقة تسمح برسم ملامح الشخصية وتضمن استمرارية الحدث وتطوره على أكمل وجه، ومن ثمة فإن عناصر القصة الرئيسية كالشخصية، الحدث والبيئة تكون حاضرة أمام المتلقي بدرجات متساوية، فاللغة لا بد أن تكون مطابقة للحوار و الوصف لا بد أن يقتصر على ما تفرضه العناصر الأساسية للقصة، أما الحوار فهو مطالب بأن يساعد على توضيح ملامح الشخصية وجلاء الحدث، وإلا فإنه يندرج تحت مسمى اللغو الذي لا تحتمله القصة القصيرة، هذا، في حين أن السرد لا بد أن يكون ملائما لعناصر القصة وان لا يكون سمة بارزة فيها نظرا لما تقتضيه الضرورة الفنية لهذا الجنس الأدبي.

I.2.1.3.الواجهـــات الخمـــس للجـــدار عنـــد سارتـــر

إن المغامرة الإبداعية التي أقدم عليها سارتر في جنس "القصة القصيرة"، أثبتت جدارة هذا الأخير وتفوقه في هذا المجال، سوءا من ناحية السلاسة التقنية أو من ناحية التوغل في المونولوج ورصد أغوار النفس البشرية، أو من خلال القص المتعدد الأصوات أو المتعدد الأبعاد على حد تعبير سارتر نفسه.

يعد "الجدار" من المنعرجات الحاسمة في الفكر السارتري، فبعد الحرب العالمية الثانية تراجع العالم عن النزعة الفردية التي كانت سائدة آنذاك لقاء نزعة عقلانية واعية جعلته يدرك مدى نجاعة "الفكر السياسي" وقدرته على الفصل في القضايا الأكثر حساسية وتعقيدا، وإذا كان سارتر في كتابه "الجلسة السرية" Huis clos " يصف الأبعاد السلبية

---

[1] BONHEIM، Helmet:" the narrative modes، techniques of the short story"، Cambridge، D.P.Brewer، 1982، page 197.
Voir aussi، BOUCHER، Jean Pierre:"le recueil de nouvelles، Montréal Fides، 1992، page 216

للأنانية الفردية من خلال الانغلاق العقيم للفرد على ذاته فإن الجدار Le mur هو كناية صريحة عن السجن البناء ونقطة انبثاق هامة لمفهوم جديد من مفاهيم الغيرية عند سارتر.

"الجدار" هو عنوان لكتاب يجمع بين طياته خمس قصص قصيرة تحمل أول أقصوصة منها نفس العنوان أي "الجدار" تليها كل من:"الغرفة La chambre"، "حبل الوريد Intimité"، "إيروسترات Erostrate"، "طفولة قائد L'enfance d'un chef"، وهي قصص مستقلة عن بعضها البعض وبالإمكان دراسة كل واحدة منها على حدا، فقبل صدورها في نفس المجموعة، كان قد سبق لثلاثة منها أن صدرت متفرقة، "فالجدار" نشر لأول مرة في جويلية 1937، و"الغرفة" التي صدرت سنة 1938 في شهر جانفي، في حين نشرت أقصوصة "حبل الوريد" في سبتمبر من سنة 1938، ليتم بعد ذلك جمع الأقصوصات الخمس بين دفتي كتاب واحد في جانفي سنة 1939. وحسب شهادة "سيمون دي بوفوار" في كتابها "قوة السن La force de l'age" فقد امتدت فترة تأليف هذه الأقصوصات ما بين صائفتي 1936 و1938. وتم نشر أولى هذه القصص القصيرة قبل أن يفرغ سارتر من كتابة آخر واحدة فيها.

يظهر من خلال قصص المجموعة والتي كتبت في فترات زمنية مختلفة أن أسلوب سارتر وانتقاءه للتيمات عرف نضجا وتطورا ملموسا تزامن مع مراحل كتابة هذه القصص والظروف التاريخو_سياسية التي سادت في تلك الفترات، فنجده في النصوص الأكثر قدما كالغرفة مثلا يعرض لمواضيع تخص المرضية الفردية(العلاقة مع الآخرين، الجنس، الشر)، في حين نجده في النصوص اللاحقة أكثر تفتحا على العالم المعاصر وأزماته الكبرى[1].

لقد لقيت هذه المجموعة القصصية وبالخصوص "الجدار" و"الطفولة قائد" قبولا جماهيريا واسعا ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى كونها تعرض لأهم الرهانات السياسية كاندلاع

---

[1] Biographie publiée par "Annie Cohen" sonal: Sartre (1905-1980) Gallimard، 1985(récupérée de http://fr.wikipedia.org\wiki\le Mur dernière modification de la page le 26 Juin 2006.

الحرب المدنية في اسبانيا، انتشار الفاشية في فرنسا وتصاعد حركة التيار المناهض لليهودية، وتعد كلتا الأقصوصتين بمثابة السبق الذي مهد لظهور فلسفة سارتر والتي لم تتجسد نظريا إلا في سنة 1943 من خلال "الوجود والعدم L'être et le néant ".

والمثير في هاتين القصتين هو أن البطل والراوي الذي تجسده شخصية "بابلو ايبيتا" ينتقل في الجدار" من السياسة إلى الدعابة اوالكوميدية الساخرة، في حين أن العكس هو ما يحدث في "طفولة قائد"، إذ تأخذ القصة في البداية شكل الكوميديا السطحية لتصل ببطلها في الأخير إلى الالتزام السياسي في صفوف اليمين الأقصى وتعد هذه الأقصوصة بمثابة تحليل بسيكولوجي، اجتماعي وتاريخي مطول لشخصية إنسان عادي تتبدل قناعاته شيئا فشيئا إلى أن يصل في آخر المطاف إلى تبني الإيديولوجية الفاشية. أما بقية قصص المجموعة فيعالج فيها "سارتر" العديد من المواضيع الحساسة، كالجنون، الانغلاق على النفس، البورجوازية، الجنس، كما هو الحال في "الغرفة"، في حين أنه يوظف المونولوج الداخلي المزدوج في "حبل الوريد" من خلال امرأتان تتجاذبان أطراف الحديث في العاطفة، الجنس و الفشل، أما "ايروسترات" فيتطرق فيها "سارتر" لموضوع كره البشرية، العنف، القتل الرخيص، و البطل المضطرب بسبب الجنس و النساء، لينتهي كل شيء في مطب التراجيدية الهزلية و تكون العودة إلى حادثة إحراق "إيروسترات"* لأحد أشهر عجائب العالم و هي أسطورة تجسد الغضب المدمر الذي يسيطر على الشخص الذي يحس بالضعف وعدم القدرة على المواجهة والتصدي للعالم الخارجي.

تنوه العديد من الكتابات النقدية والأدبية أن هذه المجموعة القصصية هي من أهم ما كتب سارتر ومن أروع ما جادت به قريحته، وأنها بلغت درجة من الجودة يصعب لأعمال أخرى، مما كتب سارتر في جنس القصة القصيرة أن تضاهيها وهذا ما يشير إليه كتاب "الأدب في فرنسا بعد 1945" :

---

* ايروسترات او "ايروستراتوس" Hêrostratos هو شخص أراد الشهرة بأي ثمن، فأشعل النار بمعبد "أرتميز" Artémis بـــ ايفاس Ephèse في اليونان، وهو معبد مصنف ضمن العجائب السبع في العالم (الأعجوبة الرابعة)، وحسب ما تروي الأساطير، فان هذا الحريق وقع في 21 جويلية سنة 356 قبل الميلاد وهو بالتحديد يوم ميلاد "الكسندر الأكبر Alexandre le grand"

"Les nouvelles du "Mur"(1939) paraissent si accomplies dans leur agressivité qu'on ne voyait pas comment l'auteur pourrait progresser dans ce genre، et en effet، il n'y est pas revenu …. Ces brefs récits، à la limite tolérable، sont peut-être les textes les plus accomplis que Sartre ait jamais écrits" [1]

تجدر الإشارة إلى أن هذه القصص نشرت في أشهر المجلات الفكرية والأدبية، "فالجدار" و"الغرفة" نشرتا في "المجلة الفرنسية الحديثة La nouvelle revue française"، أما "حبل الوريد" فقد نشرت في مجلة "المقاييس Les mesures"، كما تحصلت المجموعة على جائزة الرواية الشعبية Le prix du roman populaire سنة 1940، بالإضافة إلى هذا، فقد قام "ميشال ميتياني Michel Mitiani" باقتباس "الغرفة" في عمل تلفزيوني في حين اخرج "سارج رولي Serge Roullet" فيلما عن "الجدار".

I.2.2.3.حـــــــول الجـــدار: الأقصوصـــــة

بين سجن الجدران وسجن الأفكار، بين عبث الأجساد بالأجساد، واختناق الروح بين القضبان والأحكام يطول انتظار الموت وان قصر وتتحول الحياة فجأة إلى مملكة للخراب تسقط على أرضها كل الأعلام وتسكت بأرجائها كل الإيديولوجيات والشعارات وتتجرد فيها كل الأشياء من قيمتها وكل المبادئ من قيمها، فيتحول العمر برمته لمجرد مرحلة في انتظار الموت.

هكذا يعيش "بابلو ايبيتا" ،السجين الجمهوري، أولى لحظات الموت بالتقسيط، في انتظار أن ينفذ فيه حكم الإعدام رميا بالرصاص من قبل إتباع الديكتاتور الاسباني "فرنسيسكو فرانكو"* .

وبالرغم من الموقف المشترك بين بطلنا، ورفقاء سجنه وخطر الموت ذاته الذي كان يتهدد حياتهم في الساعات الأخيرة المفترضة من عمرهم، إلا أن كل واحد فيهم راح يواجه الموقف من منطلق ذاتيته ومنطق نظرته إلى الحياة ، وأمام حتمية قدر لا يستشير وقبضة أغلال لا تنكسر يعيد كل واحد فيهم ترتيب حساباته وأولوياته في حياة لم تعد ملكه، وتحت الوطأة الحادة لكل أنواع التوتر الحسي والاضطراب النفسي راحت الأعراض الباتولوجية

---

[1] La littérature en France depuis 1945، Page 52-56

* حكم " فرنسيسكو فرانكو" اسبانيا بعد نهاية الحرب المدنية سنة 1936 واستمر حكمه إلى غاية سنة 1977.

تكسو جسد وفكر كل واحد منهم بما فيهم "بابلو" الذي لم يعد يهتم لشيء ولا حتى لحياة ستنتزع منه غصبا بعد ساعات... أو على الأقل هذا ما كان مفترضا!!

وتنقضي الليلة لتنقضي معها آخر الأقدار ولا يبقى سوى " ايبيتا" مترقبا نهاية العذاب ولكن سخرية الأقدار لا تأبى إلا أن تقلب موازين الأحداث، دون سابق إنذار، بل وتمنحه أيضا فرصة جديدة للحياة... وأية فرصة! فبعد أن آثر حياة رفيقه ومثله الأعلى في النضال ، وفي محاولة منه لتضليل العساكر والاستهزاء بهم يقترح "المقبرة" كمخبأ لصاحبه، الذي كان من المفترض انه يختبأ في بيت أبناء عمه، ليكتشف بعدها بساعات أن "ريمون غري" قتل برصاص نفس العساكر بعد أن كان قد غادر بيت أبناء عمه ليختبئ "بالمقبرة".

II. مقارنة إحصائية للأسلوب السارتري بين لغة الانشاء و لغةالترجمة

1.II. مقارنة إحصائية لنسبة الأدبية في النصين (الأصلي و الترجمة)

1.1.II. التوزيع النسبي للمتغيرات النحوية:

تساعد معادلة بوزيمان (Busmmann)، كما سبق و أن أشرنا إليه في الشطر النظري من هذا البحث، على تحديد نسبة النص من حيث هو علمي أو أدبي، كما أنها تعطي صورة دقيقة عن نسبة أدبية النص في حالة ما إذا كان ينتمي إلى فئة النصوص الأدبية، و عليه تصبح الحوصلة الرقمية لتوزيع العناصر النحوية، التي تشكل طرفا أساسيا في هذه المعادلة، أمر ضروري لقياس هذه النسبة، و قد أفضى إحصاء العناصر النحوية و بالخصوص الأفعال و الأسماء في النصين الأصلي و الترجمة عن النتائج المسجلة في الجداول التالية:

الأفعال:

النص	العدد الإجمالي للمفردات	العدد الإجمالي للأفعال	النسبة المئوية للأفعال/النص
Le Mur	7869	1742	% 22,14
الجدار	7321	1335	% 18,24

الجدول 1

الأسماء :

النص	العدد الإجمالي للمفردات	العدد الإجمالي للأسماء	نسبة الأسماء/النص	عدد الأسماء المادية	نسبة الأسماء المادية/ الأسماء	عدد الأسماء المعنوية	نسبة الأسماء المعنوية/ الأسماء
Le Mur	7869	577	% 5,16	406	% 70,36	171	% 29,64
الجدار	7321	410	% 5,60	302	73,66 %	108	% 26,34

الجدول 2

2.1.II. قياس كثافة المتغير الأسلوبي:

1.2.1.II. قياس كثافة الأفعال:

لتكن (ك) هي كثافة الأفعال في النص الأصلي (الفرنسي)، من ثمة فإن:

$$ك = \frac{\text{العدد الإجمالي للأفعال}}{\text{العدد الإجمالي لمفردات النص}} \Longleftrightarrow ك = \frac{1742}{7869} \quad ك = 0,22$$

و لتكن (ك') هي كثافة الأفعال في النص – الترجمة (النص العربي)، و عليه فإن:

$$ك' = \frac{\text{(العدد الإجمالي للأفعال)'}}{\text{(العدد الإجمالي لمفردات النص)'}} \Longleftrightarrow ك' = \frac{1335}{7321} \quad ك' = 0,18$$

يتضح من خلال النتيجة المتحصل عليها من حساب (ك) و (ك') أن كثافة الأفعال في النص الفرنسي أكبر منها في النص – الترجمة.

2.2.1.II. قياس كثافة الأسماء:

لتكن (كا) هي كثافة الأسماء في النص الفرنسي و (كا') هي كثافة الأسماء في النص العربي من ثمة فإن:

$$كا = \frac{\text{العدد الإجمالي للأسماء}}{\text{العدد الإجمالي لكلمات النص}} \Longleftrightarrow كا = \frac{577}{7869} \quad 0,073 = (كا) \quad 0,073 =$$

$$(كا') = \frac{(\text{العدد الإجمالي للأسماء})'}{(\text{العدد الإجمالي لكلمات النص})'} \Longleftrightarrow (كا') = \frac{410}{7321} = 0,056 \quad 0,056 = (كا')$$

كما هو الحال بالنسبة للأفعال، فإن كثافة الأسماء في النص الأصلي تزيد بفاصل 0,017عنها في النص –الترجمة أي (كا) >(كا') .

3.2.1.II قياس النسبة بين متغيرين (معادلة بوزيمان)

1.3.2.1.II. على مستوى النص الفرنسي (Le Mur):

ليكن معدل نسبة الأفعال إلى الأسماء هو (مع):

$$مع = \frac{\text{عدد الأفعال}}{\text{عدد الأسماء}} \Longleftrightarrow مع = \frac{1742}{577} = 3,01 \quad مع = 3,01$$

لقد أسفر حاصل قسمة عدد أفعال النص الفرنسي على عدد الأسماء الموجودة فيه عن نتيجة إيجابية و هو أمر يؤكد أويثبت أدبية النص و يبرهن عليها علميا و بشكل موضوعي و دقيق.

2.3.2.1.II. على مستوي النص العربي (الجدار):

انطلاقا من معطيات الجدولين (1) و (2) فإن نسبة الأفعال إلى الأسماء يتم حسابها بتطبيق نفس المعادلة (معادلة بوزيمان):

$$مع' = \frac{(\text{عدد الأفعال})'}{(\text{عدد الأسماء})'} \Longleftrightarrow مع' = \frac{1335}{410} = 3,25 \quad مع' = 3,25$$

من الواضح أن مع< مع' أي أن أدبية النص العربي – الترجمة– تزيد نسبيا عن أدبية النص الأصلي و ذلك بمعدل فارق تبلغ قيمته 0,24 أي بنسبة تساوي 7,38 % مقارنة بمعدل هذه النسبة في النص الترجمة.

2.II. عمليات قياسية في ورود و تردد "الأفعال":

ان ضبط المفاهيم الأولية في الإحصاء المعجمي، كتحديد و حدة القياس مثلا، و حساب نسبة ورود و تردد مختلف المتغيرات الكلامية،أمر يسمح لا محالة باستثمار مختلف العناصر الحسابية من خلال أبرز العمليات الإجرائية و المعادلات الرياضية التي تجسد أبعاد الإحصاء المعجمي بأوجهه المختلفة و غاياته المتعددة، و ذلك بعد الانتقال تدريجيا من المعلومات اللغوية إلى المعلومات الرقمية.

و اختيارنا للفعل كمتغير أساسي في هذه العملية الإحصائية مرتبط، بالدرجة الأولى، بطبيعة النص الأدبي الذي يتميز بالكثافة المرتفعة لهذا العنصر مقارنة بالعناصر الأخرى "كالأسماء" مثلا، إذ أن في انفعالية النص الأدبي و حركيته العاطفية أرضية خصبة لاستثمار صفة التعددية و الورود المتكرر، وحرصا منا على توخي الدقة و الموضوعية، فقد قمنا بحصر رقعة التطبيق الإحصائي* في حدود النسيج النموذجي الممتد على مساحة عشر صفحات الأولى من القصة القصيرة "الجدار" أي ما يعادل تقريبا ثلث القصة كاملة.

لتحقيق الغرض المتوخى، قمنا بإنشاء الجدول –أ– و الذي دونا عليه النتائج المتحصل عليها من خلال جرد الأصول المعنوية للأفعال و ترددتها في النسيج النموذجي للنص الفرنسي (الأصلي)، و بالمقابل سجلنا المعطيات العددية المستخلصة من ترجمة نفس النموذج الإحصائي في الجدول الثاني "أ'[1].

*الاشتغال على مستوى هذه الرقعة النموذجية من النص يخص فقط حساب ورود و تردد الأفعال، أما باقي العمليات الحسابية، فقد تم قياسها على مستوى النص كله.

[1] للتمييز بين معطيات النص الفرنسي (الأصلي) و النص الترجمة (العربي)، فإننا أشرنا بالفتحة (') لكل عناصر و قيم النص الترجمة مع الحفاظ على نفس الرموز المستخدمة للتعبير عن معطيات النص الأصلي.

1.2.II. الجدول التوزيعي للأفعال (أ):

س	تردد س	تردد س،س	م(ت س) من الأسفل	م(ت س.س)من الأسفل	العمود 4 مختزل إلى	العمود 5 مختزل إلى
1	97	97	148	336	10.000	10.000
2	27	54	51	239	3.446	7.114
3	7	21	24	185	1.622	5.506
4	5	20	17	164	1.149	4.881
5	2	10	12	144	811	4.286
6	1	6	10	134	676	3.989
7	1	7	9	128	609	3.810
8	2	16	8	121	541	3.602
9	1	9	6	105	406	3.125
13	1	13	5	96	338	2.858
18	1	18	4	83	271	2.471
19	1	19	3	65	203	1.935
20	1	20	2	46	136	1.370
26	1	26	1	26	68	774
المجموع	148	336	/	/	/	/

2.2.II. الجدول التوزيعي للأفعال (أ'):

س'	تردد س'	تردد س'،س'	م(ت س') من الأسفل	م(ت س'.س') من الأسفل	العمود 4 مختزل إلى	العمود 5 مختزل إلى
1	104	104	170	399	10.000	10.000
2	31	62	66	295	3.883	7.394
3	11	33	35	233	2.059	5.840
4	5	20	24	200	1.412	5.013
5	5	25	19	180	1.118	4.512
6	6	36	14	155	824	3.885
7	3	21	8	119	471	2.983
8	1	8	5	98	295	2.457
10	1	10	4	90	236	2.257
12	1	12	3	80	177	2005
33	1	33	2	68	118	1.705
35	1	35	1	35	59	878
المجموع	170	399	/	/	/	/

-الجدار-

3.2.II. قراءة إحصائية مقارنة :

إن هذا الشكل الذي تبنيناه في عرض البيانات و المعطيات الرقمية هو الشكل المتعارف عليه في الوسط الأسلوبي الإحصائي و الغرض منه هو تنظيم البيانات و تسهيل عملية قراءتها من خلال عرضها في صورة تسمح برصد الخصوصيات الواردة فيها، تسجيل المعطيات الصادرة عنها و تحديد النتائج المترتبة عليها.

نلاحظ أن كلا الجدولين المتناظرين من ناحية الشكل- يتكونان من سبعة أعمدة، و ليكن (ع) هو رمز العمود الواحد في الجدول (أ)، من ثمة فإننا نقرأ المعطيات المسجلة في أعمدته كالآتي:

ع1 : عدد الورود (س) (occurrences)

ع2 : التردد (تردد س) (Fréquence)

ع3: حاصل ضرب التردد في الورود (تردد سx س)

ع4 : سجلنا في الخانة الأولى منه العدد الأخير من ع2 أي الرقم (148) ثم خصمنا منه العدد الأول من ع2 (97) لنسجل النتيجة (51) في الخانة الثانيـــة من نفس العمود (ع4) و خصمنا من هذه النتيجة العدد الثاني من ع2 و النتيجة (24) سجلناها في الخانة الثالثة من ع4 و هكذا دواليك.

ع5: فعلنا فيه بمقلوب العمود الثالث ع3 ما فعلناه بمقلوب العمود الثاني.

ع6: سجلنا فيه أرقام العمود الرابع ع4 مضروبة في 10.000 و مقسومة على148

ع7: سجلنا فيه أرقام العمود الخامس مضروبة في 10.000 و ومقسومة على 336

و بنفس الطريقة نقرأ المعطيات الواردة في الجدول (أ').

يتضح من خلال مقارنة الجدولين (أ) و (أ') أن 97 فعلا ورد مرة واحدة في النص الأصلي، في حين ترتفع هذه النسبة لتصل إلى 104 فعلا بالنسبة للنص–الترجمة أي النص العربي، و إذا كانت آخر "رتبة ورود" في العينة الأصلية هي 26 ورودا، فإن هذه الرتبة تصل إلى 35 ورودا في العينة –الترجمة– و من الملاحظ أيضا أن النص الأصلي يسجل ورود 27 فعلا مرتين، في حين أن عدد الأفعال التي وردت مرتين في النص الترجمة تبلغ 31 فعلا (أي 31 تردد لرتبة الورود "1").

من ثمة، فإن المقارنة بين الثنائيات المتقابلة (س، تردد س) و (س'، تردد س') تكشف لا محالة، عن اختلاف نسبة تردد الأفعال في النصين و إلى تغير رتبة انتماءها من فئة ورود إلى فئة أخرى، فإذا أخذنا، على سبيل المثال، الأفعال التي تنتمي إلى الأصل المعنوي (معجمة) "regarder" و تلك التي تنتمي إلى معجمة "نظر" كمقابل أو كترجمة للفعل الفرنسي "regarder" نجد أن الأول (regarder) يظهر في النص الفرنسي إحدى عشر مرة، أي تردد س: 11، في حين يظهر الفعل "نظر" بأشكال مختلفة سبعة مرات أي تردد س'=7، و يستخدم مرة واحدة كترجمة لفعل مغاير في الفرنسية (consulter) و ذلك

في عبـــارة "tirer sa montre et la consulter"[1] و التي ترجمت بـــ "يخرج ساعتـــه و ينظر إليها"[2] و عليه فإن تردد الفعل "نظر" هو تردد س'= 8.

أما عن الترددات الأربعة الأخرى للأصل المعنوي "regarder" في الفرنسية و التي لم تسجل في قائمة ترددات المقابل "نظر" (كفعل)، فقد تم ترجمتها على التوالي بـــ "يتطلعون"، "تطلع"، "الناظر"، "النظر"، و هي إما أشكال لفعل مغاير إما أشكال لفئة نحوية مختلفة (أسماء).

3.II. تطبيقات احصائية مقارنة:

1.3.II. مج$_0$، مج$_0$' : ترمز بـــ "مج" لمجموع الأفعال– الأنواع، و المقصود بالأنواع هنا هي الأصول المعنوية للأفعال و التي تتميز بنفس التردد، و من ثمة فإن:

مج$_0$≤ تردد س و≤ مج$_0$' = تردد س' و عليه فإن: مج$_0$ = 148 في حين يبلغ مجموع الأصول المعنويـــة الأفعال في النص العربي (الترجمة) 170، أي مج$_0$'= 170، و النتيجة هي مج$_0$ < مج$_0$'، علما أن مجموع الأفعال الأنواع في النص الأصل يقل بفارق 22 (اثنان و عشرين) نوعا عنه في النص– الترجمة أي أنها تقل بنسبة 12,95 % في الاتجاه السالب.

---

[1] SARTRE Jean Paul, Le Mur , Edition Gallimard, Paris 19 ; Page 19

[2] جون بول سارتر: الجدار، ترجمة هاشم الحسيني، منشورات دار مكتبة الحياة–بيروت 1963، صفحة 17.

2.3.II. مج$_1$، مج$_1$' : يرمز بـــ مج$_1$ لحاصل ضرب مج$_0$ في فئات التردد، أي حاصل ضرب الأنواع الفعلية المشتركة في رتبة الورود في عدد تواترها أو ظهورها (س. تردد س) و بطبيعة الحال، فإن المجموع الكلي لا يقاس على مستوى السطر بل على مستوى الجدول كله و هو يتجسد على مستوى العدد الإجمالي للأفعال في العينة أو النسيج الإحصائي و وعليه، نجد أن:

مج$_1$ =336، و مج$_1$' = 399، أي أنه في هذه الحالة : مج$_1$ < مج$_1$'

و هذا يعني أن مجموع الأفعال في النص العربي (الترجمة) يزيد نسبيا عن عدد الأفعال الموجودة في النص الأصلي و يقدر الفارق بـــ 63 فعلا أي بنسبة لا تقل عن 15,79 %.

3.3.II. مج$_2$، مج$_2$' : تعتمد هذه العملية أيضا على المعطيات العددية الموجودة في الجدول و يقوم حساب مج$_2$ و مج$_2$' على جمع حواصل ضرب كل قيم مج$_0$ في الفئة الترددية المناسبة لها (س) مرفوعة إلى القوة 2. و تسمى مج$_1$ و مج$_2$ أحيانا باللحظتين التوزيعيتين الأولى و الثانية حول الصفر باعتباره أصلا[1] و لقياس هذه الظاهرة في كلا النصين و تحديد نسبة الانزياح عن الأصل في نسيج الترجمة المدروسة فقد قمنا باستخدام جدول يول[2] في حساب كل من مج$_2$ و مج$_2$' و ذلك انطلاقا من أرقام الجدول –أ– الذي يعكس معطيات النص الأصل و الجدول –أ'– الذي يترجم رقميا العناصر اللغوية للنص – الترجمة.

---

[1] YULE G. Udney (1944) : The Statistical Study of Literary vocabulary, Cambridge University press 1968, page 13.

[2] المختار كريم : الأسلوب و الإحصاء، صفحة 274.

1-حساب مج$_2$:

س	تردد س	س2	مج$_2$ x س^2
1	97	1	97
2	27	4	108
3	7	9	63
4	5	16	80
5	2	25	50
6	1	36	36
7	1	49	49
8	2	64	128
9	1	81	81
13	1	169	169
18	1	324	324
19	1	361	361
20	1	400	400
26	1	676	676
مج$_2$			2622

الجدول 1

2- حساب مج$_2$':

س'	تردد س'	س'2	مج$_2$' x س^2
1	105	1	104
2	31	4	124
3	11	9	99
4	5	16	80
5	5	25	125
6	6	36	216
7	3	49	147
8	1	64	64
10	1	100	100
12	1	144	144
33	1	1089	1089
35	1	1225	1225
مج$_2$'			3517

الجدول 2

انطلاقا من النتائج المتحصل عليها من الجدولين 1 و 2 يتبين أن قيمة اللحظة التوزيعية الثانية للنسيج الممثل للنص الأصلي مج$_2$ = 2622 ، مقابل مجموع يقدر بـــ 3517 بالنسبة للنص– الترجمة بمعنى أن مج$_2$' =3517 أي أن مج$_2$< مج$_2$' و الفارق يقدر بـــ 895 وحدة قياس معجمي.

4.3.II. متوسط التردد (م)، (م'):

يتـــم حســـاب هذا المتوســـط (م) في العينـــة لمدروسة من خلال قسمة مج$_1$ على مج$_0$ (مج$_1$/ مج$_0$) و الغرض من هذا القياس، هو وسم خاصية التمركز العامة للمجموعات في العينة أي أن أرقام المجموعات تدور حول رقم متوسط يمثل نزعتها المركزية، من ثمة فإن قيمة هذا المتوسط بالنسبة لعينة الانطلاق هي

$$م = \frac{مج_1}{مج_0} \Longleftrightarrow م = \frac{336}{148} = 2,27 \qquad م = 2,27$$

أما قيمة هذا المتوسط بالنسبة لعينة الوصول فهي:

$$م' = \frac{مج_1'}{مج_0'} \Longleftrightarrow م' = \frac{339}{170} = 1,99 \qquad م' = 1,99$$

5.3.II. مربع الانزياح المعياري :

تكمن أهمية هذا المقياس بالتحديد، في كونه يبعد شبهة المغالطة والتشتت عن المنهج الإحصائي، حيث انه يتجاوز مفهوم القياس التقليدي للمعدل أو المتوسط ويأخذ بعين الاعتبار انتظامية و انسجامية الظواهر, فإذا أخذنا على سبيل المثال تلميذ (أ) اشترى كراس, كتاب و قلم علما ن الكراس كلفه 25 دج و الكتاب 65 دج والقلم 10 دج و تلميذ (ب) اشترى نفس الأدوات، إلا انه دفع على الكراس 40 دج وفي الكتاب 45 دج و في

القلم 15 دج، سنجد أن معدل سعر هذه الأدوات سواء بالنسبة للتلميذ (أ) أو التلميذ (ب) هو 33.33 دج أي أن المعدل هو نفسه في الحالتين رغم اختلاف ثمن كل من الكراس، الكتاب والقلم في الحالتين، فإذا لم نكن نعرف سوى هذا المعدل لم يكن بمقدورنا أن نحكـــم على انتظامية سعر هذه الأدوات ولا ارتفاع ثمنها عند هذا وانخفاضه عند الآخر.

و الطريقة المتبعة عند "Yule" لقياس مربع الانزياح المعياري تعتمد على المعادلة التالية:

$$\text{مج}_2 / \text{مج}_0 - \text{م}^2$$ ، من ثمة فإن:

$$6^2 = 2622/148 - (2,27)^2 \Longleftrightarrow 6^2 = 12,56$$

أما بالنسبة لقيمة مربع الانزياح المعياري في النص –الترجمة:

$$6'^2 = \text{مج}'_2/\text{مج}'_0 - \text{م}'^2$$

$$6'^2 = 3516/170 - (1,99)^2 \Longleftrightarrow 6'^2 = 16,72$$

II.6.3. الانزياح المعياري:

أي الجذر التربيعي لمتوسط مربعات انحراف القيم المختلفة عن متوسطها الحسابي بغية الرجوع بها إلى القيم الأصلية.

$$6 = \sqrt{\text{مج}_2 / \text{مج}_0 - \text{م}^2} \Longleftrightarrow 6 = \sqrt{12,56} \qquad 6 = 3,54$$

$$6' = \sqrt{\text{مج}'_2/\text{مج}'_0 - \text{م}'^2} \Longleftrightarrow 6' = \sqrt{16,72} \qquad 6' = 4,08$$

II.7.3. قياس ضارب التنوع (V):

يتم الحصول على قيمة هذا الضارب من خلال قسمة قيمة الانزياح المعياري على المتوسط أي أن

V= 6 / م من ثمة فإن :

$$V = \sqrt{12,56} / 2,27 \quad \Longleftrightarrow \quad V = \frac{3,54}{2,27} = 1,55$$

$$V' = \sqrt{16,72} / 1,99 \quad \Longleftrightarrow \quad V' = \frac{4,08}{1,99} = 2,05$$

خاتمة

إن تحديد الملامح الأسلوبية للنص الأدبي من شأنه أن يهيئ الأرضية للمترجم من أجل الاستغلال السوي للمادة الأدبية،كما أنه يضمن احترام الأسلوب الأصلي في أدق تفاصيله و يمكن من خلق نص–شبيه في لغة مغايرة. و إن كانت المعالجة الإحصائية لبعض المتغيرات الكلامية في أسلوب سارتر في اللغتين أثبتت وجود فوارق ملموسة بين النصين الأصلي و المترجم، سواء على مستوى التعبير أو البناء، فإنه و مما لا شك فيه هو أن هذه الدراسة التي اقتصرت عموما على الأفعال و الأسماء كانت ستنبأ عن الكثير من المفارقات و الخصوصيات لو أنها شملت بقية المتغيرات الأسلوبية، و لكنه لسوء الحظ أمر يستعص في ندرة و غياب برامج المعالجة الآلية التي من شأنها أتممت الكم الهائل لهده المتغيرات و تصنيفها بشكل يسمح بدراستها إحصاءا و مقارنة، ضف إلى دلك أن توظيف البرامج الإحصائية الآلية كان سيسمح لا محالة من استثمار مساحة تطبيقية أكبر و يمكن من إجراء معالجة أوتوماتيكية دقيقة و على مستويات شتى.

فالتقويم الكمي للخصائص الأسلوبية ليس بالأمر اليسير سواء بالنسبة للساني، الإعـــلامي، المترجـــم أو الإحصائـــي، بل إنه أمر يتطـــلب تكاثف جهود هؤلاء كلهم و تكتلهم في خلايا بحث يكمل فيها الواحد الآخر، كل في مجال تخصصه و لا بأس أن يكتشف الأسلوبي تقنيات البرمجة الآليـــة و الإعلامي حيثيـــات الترجمـــة الأدبيـــة و الإحصائي ميكانيزمات الترجمة الآلية ، فالفكرة لا تزال بكرا و هي بحاجة إلى رعاية علمية مكثفة. من ثمة، حرصنا في هدا البحث على مقاربة مختلف هذه التخصصات بغية إبراز جملة العناصر المتفاعلة في المعالجة الأسلوبية الإحصائية للنصوص الأدبية في مجال الترجمة.

و إذا كنا قد انطلقنا في هده الدراسة من نص أصلي و ترجمته، فمن الممكن استثمار نفس المبادئ التقويمية و المناهج الإحصائية في مقاربة نصوص أدبية لم تترجم بعد قصد تمهيد الأرضية أمام المترجم في مرحلة قراءته النقدية لهده النصوص و اكتشافه

لذاتية الكاتب و أسلوبه، الأمر الذي يمنع عنه الكثير من اللبس و يجنبه الانحراف عن الأسلوب الأصلي.

و إذا كانت الأسلوبية الإحصائية قد سمحت باكتشاف هوية نصوص مجهولة الصاحب، فكيف لا تسمح بتقويم أسلوب معروف الكاتب؟المهم هو أن تتكاثف الجهود في هذا الاتجاه و تتواجد إرادة فاعلة و قوية من اجل إضافة لبنة جديدة إلى سرح الترجمة العتيق و تنال بذلك الترجمة الأدبية حظها من التكنولوجيا الرقمية و المناهج العلمية المتطورة، فالتطلعات العلمية و التقنية المعاصرة تفوق كل التصورات و تتخطى كل الحدود و هي في مجملها تصبو إلى التسخير الفعال و الذكي للآلة من خلال الانفتاح على مجالات البحث في العلوم الإنسانية و خلق مخابر هجينة و أنظمة خبيرة تسعى إلى تحقيق أرقى معالجة معلوماتية و أدق معاينة أوتوماتيكية في مختلف مجالات العلم و المعرفة .

لا يفوتنا في الأخير أن ننوه بالصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث و بالتحديد على مستوى المراجع، حيث سجلنا نقصا ذريعا في المراجع التي تحيل بشكل مباشر إلى الأسلوبية الإحصائية، كما أضنانا البحث في صفحات الكتب و المراجع عن اسطر تتحدث في الموضوع أو تشير إليه، مما اضطرنا إلى الرجوع لأمهات الكتب التي أطرأت هذا الدرس لنقتفي عبرها أثر مختلف الجوانب التنظيرية للأسلوبية الإحصائية و نتتبع من ثمة فروعها و اتجاهات البحث فيها.

و لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ شريفي عبد الواحد على الإرشادات النيرة و النصائح القيمة التي لم يبخل بها علينا و الأستاذ بن عبد الله الأخضر على الكتب و المراجع النادرة التي كانت لنا سندا و عدة في هذا العمل المضني و الشيق في نفس الوقـــت. أما أستاذي خليل نصر الدين فمهما قلت لن اجزيـــه حقه من الشكـــر و الامتنان، فلولا الثقة التي زرعها فينا و لولا تشجيعا ته ووقوفه عند ابسط حيثيات هذا البحث و دقائق هذا العمل، لما وجدنا الجرأة الكافية لخوض هذه المغامرة العلمية.

و الله ولي التوفيق.

بيبليوغرافيا

❋المصادر و المراجع❋

I.المصادر:

- **Sartre Jean Paul** : Le mur (recueilles de nouvelles) Editions Gallimard ; Paris, 1939.
- **جون بول سارتر:** الجدار(مجموعة قصصية)، ترجمة هاشم الحسيني، منشورات دار مكتبة الحياة–بيروت 1963 .

II. المراجع العربية :

1. الكتب العربية:

- **اسكاربيت روبرت** : سوسيولوجيا الأدب، ترجمة: آمال عرموني، منشورات عويدات، باريس، 1978.
- **بدوي عبد الرحمن**: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر –بيروت لبنان- طبعة الأولى 1980.
- **برونيل بيير ، كلود بيشوا، أندريه ميشيل روسو** : ما الأدب المقارن؟ ترجمة : غسان السيد، منشورات دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة ، دمشق – سوريا ،الطبعة الأولى، 1996.
- **خورشيد إبراهيم زكي** : الترجمة و مشكلاتها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985.
- **الديداوي محمد** : علم الترجمة بين النظرية و التطبيق، دار المعارف للطباعة و النشر، سوسة – تونس، 1999.
- **السد نور الدين:** الأسلوبية وتحليل الخطاب– دراسة في النقد العربي الحديث–، ج1– دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر 1997.
- **شارو بنسكي جان** : نحو جمالية التلقي، ترجمة محمد العمري، دراسات سال، عدد 06، فاس 1992 .

- **شاهين محمد** : نظريات الترجمة و تطبيقاتها – في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية و بالعكس–، مكتبة دار الثقافة للنشر و التوزيع – عمان الأردن، طنجة 1998.
- **شعبان مظفر** ، **شعبان سمير**:السبرنتيك.فكر مبدع يجسد وحدة الطبيعة، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1991
- **صلاح فضل** : علم الأسلوب – مبادئه و إجراءاته– دار الشروق ، مصر، الطبعة الأولى، 1998.
- **عبد الله بن حمد الحميدان**: مفاهيم أساسية في الترجمة الآلية، جامعة الملك سعود، مركز البحوث، الرياض 2000م .
- **عبّود عبده** : الأدب المقارن – مدخل نظري و دراسات تطبيقية– منشورات جامعة البحث – كلية الآداب و العلوم الإنسانية 1997– 1998 .
- **علوش سعيد** : خطاب الترجمة الأدبية– من الازدواجية إلى المثاقفة، المغرب الحديث 1912 – 1956، سلسلة مطبوعات مدرسة الملك فهد(جامعة عبد الملك السعدي) طنجة 1990 .
- علي حرب: نقد النص، المؤسسة العربية للدراسات و النشر –بيروت لبنان، 2000.
- **كاتفورد (ج،س)** : نظرية لغوية في الترجمة، ترجمة خليفة العزابي، محي الدين حميدي، معهد الإنماء العربي ، بيروت، الطبعة الأولى، 1991.
- **محمد عناني:** الترجمة الأدبية بين النظرية و التطبيق، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان–،الطبعة الأولى 1997.
- **مصلوح سعد** : دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة، دار الآفات الجديدة بيروت، 1985.
- **مصلوح سعد** : في النص الأدبي، جدة 1991.
- **مصلوح سعد:** الأسلوب– دراسة لغوية إحصائية– ، دار الفكر العربي، القاهرة الطبعة الثانية، 1984.

- **مولينيه جورج:** الأسلوبية ، ترجمة بسام بركة، المطبوعات الجامعية الفرنسية، فرنســـا، الطبعة الثالثة، 1989 .
- **الواد حسين :** من مناهج الدراسات الأدبية، سراس للنشر، تونس 1985.
- **الوعر مازن :** اللسانيات و العلم و التكنولوجيا : نحو تعريب موحد للسانيات التطبيقية العربية و برمجتها في الحاسبات الإلكترونية، مجلة اللسان العربي العدد 22، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم مكتب تنسيق التعريب 1982-1983 .
- **الوعر مازن:** دراسات لسانية تطبيقية. طلاس للدراسات و الترجمة والنشر دمشق – سوريا، الطبعة الأولى، 1989 .

2. الدوريات العربية:

- **ابن حلي عبد الله :** مدخل إلى الشعرية عند جون كوهين، المترجم، العدد 04، دار الغرب للنشر والتوزيع، جوان 2002.
- **أدونيس علي أحمد سعيد :** شعرية القراءة ، مجلة آداب، العدد 7 بيروت 1985 .
- **بارت رولان** : من المقالات النقدية لرولان بارت ، ترجمة عزيز يوسف المطلبي، مجلة التواصل العدد 08، دار جامعة عدن للطباعة و النشر، 2002.
- **بلحسن عمار :** قراءة، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 84-85، جانفي – فيفري بيروت ، لبنان، 1991.
- **حسين خمري :** نظريات القراءة و تلقي النص الأدبي، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 12، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ديسمبر 1999.
- **الخراط محمد يحي:** الترجمة علم أم فن: مجلة الفيصل، العدد 281، دار الفيصل الثقافية الرياض – المملكة العربية السعودية فيفرى – مارس 2000.
- **خليل نصر الدين:** لغة الترجمة في ميزان نظرية الوجود النصي، مجلة كتابات معاصرة، العدد 32 المجلد الثامن بيروت – لبنان، 1997-1998.

- **زعموش عمار** : الحاسوب و تعلم اللغة العربية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 12، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ديسمبر– 1999.
- **السعيد خضراوي:** الترجمة و المصطلح، مجلة المترجم ،العدد 01 يناير– جوان 2001، دار الغرب للنشر و التوزيع،2001.
- **شماع ليلي** : « تجربة وكالة ألف للترجمة »، مجلة فكروفن ، معهد غوته، 2002.
- **العشي عبد الله** : الترجمة إلى العربية من منظور حضاري، مجلة، العلوم الاجتماعية و الإنسانية، العدد 02 جامعة باتنة، الجزائر، ديسمبر 1994.
- **فورطوناطو اسرائيل** : الترجمة الأدبية –تملك النص– ترجمة مصطفى النحال، مجلة المترجم، العدد 04. ، دار الغرب للنشر والتوزيع، جوان 2002.
- **المختار كريم** : الأسلوب و الإحصاء، منشورات كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة تونس، السلسلة 8 العدد 16، تونس 2006.
- **نبيلة إبراهيم**: مستويات لعبة اللغة في القص الروائي, مجلة الإبداع، العدد 5، ماي 1984.
- **النحاس الحمصى محمد نبيل:** هل يمكن تعليم الترجمة ؟ مجلة الفيصل، العدد 267، دار الفيصل الثقافية، الرياض، المملكة العربية السعودية ديسمبر 1998/ جانفي 1999 .
- **والتر بنيامين** (Walter Benjamin) : المترجم و مهمته – قابلية النصوص للترجمة – مجلة فكر وفن، العدد 79، معهد غوته،2002.

3. المعاجم العربية:

- **ابن منظور:** لسان العرب، المطبعة الأميرية ببلاق. القاهرة، 1300هـــ.
- **الخولي محمد علي:** معجم علم اللغة التطبيقي، مكتبة لبنان، لبنان، 1986 .
- **المسدي عبد السلام:** أهمية المصطلح، قاموس اللسانيات، مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1981.
- **المعلم بطرس البستاني:** قطر المحيط، قاموس لغوي ميسر مكتبة لبنان ناشرون – بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1995.

III-المراجع الأجنبية:

1.الكتب الأجنبية:

- **BAILEY, Richard W.:** Statistics and style: A historical survey, in Statistics and style, Americain Elsevier Publishing Compagny, INC, New York, 1969.
- **BAILEY, Richard, Lubomir Dolezel** : An annotated Bibliography of statistical stylistique, Ann Aubor, Département de langues Slaves de l'Université du Michigan, 1968
- **BENZEKRI, J-P**, Analyse discriminante et analyse factorielle, Les cahiers de l'analyse des données II, N°4, Dunod , Paris, 1977
- **BERMAN, Antoine** : L'épreuve de l'Etranger, Gallimard, Paris 1994
- **BERSANI, J., AUTRAND M., LECARME J., VERCIER B.,** La littérature en France depuis 1945, Bord, Paris, 1970
- **BOISDEFFRE, Pierre :** Histoire de la littérature de la langue française des années 1980, Perrin, Paris, 1985
- **BONHEIM, Helmet**: The narrative modes, techniques of the short story, Cambridge, D.P. Brewer, 1982.
- **BOUCHER, Jean Pierre**: Le recueil de nouvelles, Montréal, Fides, 1992.
- **BOUILLON, Pierrette,. CLAS, André** : La traductique, les presses de l'université Montréal AUPEL / UREF (Québec) Canada, 3ème trimestre 1993.
- **BURROW, Jean Frederic** : Computation into Lingustics, A study of Jane Auston novels and an experiment in method, clarendon Press, London, 1987.
- **CROCE, B**., Bréviaire d'esthétique, traduction de G. Bougin, Paris, payot, 1923.
- **DELOFFRE, Frédéric**: La nouvelle en France à l'age classique, Paris, Didier 1967.
- **DEPRE, Inês-Oski** : Théories et pratiques de la traduction littéraire, Armand Colin, Paris 1999.
- **DURIEUX, Christine, DURIEUX Florence** : Apprendre à traduire , la maison du dictionnaire, Paris/ France 1995.
- **CHUSCHWILLER, Michel :** L'écrit universitaire, Ed Chihab, Alger, 1995.
- **ECO, Umberto** : L'œuvre ouverte, édition le Seuil, Paris 1979.
- **ECO, Umberto:** Lector in Fabula. Grasset, Paris, 1985.
- **ENKVIST, Nils Erik** : Linguistic Stylistics, Mouton, Paris, 1973.

- **ETIEMBLE, René** : Problématique de la nouvelle, essais de littérature générale, Paris, Gallimard, 1975.
- **FORTUNATO, Israël** : Traduction littéraire, séminaire de D.E.A. à l'ESIT, actes du colloque juin 1990.
- **GUIRAUD, Pierre** : Langage et versification d'après l'œuvre de Paul Valery - Etudes sur la forme poétique dans ses rapports avec la langue - Paris : Klincksieck, 1953.
- **GUIRAUD, Pierre** : Les caractères statistiques du vocabulaire, PUF, Paris 1954.
- **HERDAN, Gustav**: Linguistique Statistique, Butterworths editions, Londres 1964.
- **HOCHETT, Charles et Hall ,Robert** : Leonard Bloomfield, essays on his life and work, Amesterdam, John Benjamins Editions, 1987.
- **ISABELLE, P.**: Machine translation at the TAUM - Group, in M. King (éd.), machine translation today : The state of art, proceedings of the fourth Lugano tutorial, Edinburg university Press ,1987.
- **ISER, Wolfgang** : L'acte de lecture. Théorie de l'effet esthétique, Bruxelles, Mardaga, 1985.
- **ISER, Wolfgang** : La fiction en effet, éléments pour un modèle historico fonctionnel des textes littéraires. In Poétique : 39, septembre 1979.
- **JACQUIN, Danielle** : Poésie en traduction, l'un et l'autre : Hopkins en français, institut d'études anglophones, université Paris VII - Denis Diderot, 1994.
- **LADMIRAL, Jean-René** : Traduire : Théorèmes pour la traduction, Payot, coll. Petite bibliothèque, Paris, 1979.
- **LAFON, Pierre** : Dépouillements et statistiques en lexicométrie, Genève Paris, 1984.
- **LEBART, L. et SALEM, A.** : Statistique textuelle, DUNOD, Paris 1994.
- **LEBRUN, Yvan** : « Linguistique quantitative », dans : « Statistique et analyse linguistique - colloque de Strasbourg (20-22 avril 1964), Presses Universitaires de France, Paris 1966.
- **LEDERER, Marianne** : La traduction aujourd'hui, « Le modèle interprétatif », Hachette Livre, Paris, 1994
- **LIEURY, Alain M.** : Méthodes pour la mémoire, Edition Dunod, Paris, 1996.
- **MOREAU, (**M.R) : Statistique et analyse linguistique, dans- Statistique et analyse linguistique- colloque de Strasbourg (20-22 Avril 1964) Presses Universitaires de France, Paris 1966.

- **MOUNIER, E.** : Introduction aux existentialismes, édition Gallimard, Paris, 1962
- **MOUNIN, Georges** : Les problèmes théoriques de la traduction, éditions Gallimard, France, 1963.
- **MOUNIN, Georges** : Linguistique et traduction, Dessart et Mardaga, Bruxelles, 1976.
- **MULLER, Charles** : Etude de statistique lexicale, Larousse, 1967.
- **MULLER, Charles** : Initiation aux méthodes de la statistique linguistique, Larousse, Paris 1968.
- **MULLER, Charles**: Principes et méthodes de la statistique lexicales, Hachette Université, Paris 6e, 1ère édition, 1977.
- **POSNER Rebecca** : Linguistique et littérature de marche romane (T.XIII), Paris, 1963.
- **RAO, C.R** : Statistics and Truth, International Cooperative Publising House, Failand, USA, 1989.
- **RICHARD Jean-Pierre** : « Littérature et sensation, Stendhal – Flaubert, Editions du Seuil, Paris, 1954.
- **RIFFATERRE, Michael** : Essais de stylistique structurale, trad. Daniel Delas, éd. Elammarion, Paris 1971.
- **RIFFATERRE, Michael**: L'illusion référentielle in littérature et réalité, Seuil, Paris, 1982.
- **SARTRE, Jean Paul** : L'existentialisme est humaine, Edition Nagel, Paris, 1996.
- **SARTRE, Jean Paul** : Situation I, Editions Gallimard, Paris 1947.
- **SARTRE, Jean Paul :** Situation II, éditions Gallimard, Paris 1947.
- **SPIDZER, Leo :** Stylistique et critique littéraire », dans Critique XI, 1955. **SPIDZER, Leo :** Stylistics and literary hitory, Princeton University Press, 1948.
- **STEINE, George** : Après Babel, une poétique du dire et de la traduction, Albin Michel, Paris, 1978.
- **STEVENS, Wallace :** Un ordre abstrait de la traduction ; Cahiers Charles V ; Poésie en traduction, université Paris VII - Denis Diderot, 1994.
- **YULE, G-U (1944)** : The statistical study of literary vocabulary, réimprimé Cambridge University press 1968.

2.الدوريات الأجنبية:

- **BOITET, C** : Méthodes sémantique en traduction automatique, traduction automatique information, n°1, 1976.

- **BOITET, C** : TAO personnelle et promotion des langues nationales in Turjumân, Revue de traduction et d'interprétation, Ecole Supérieur - Roi Fahd de traduction, Tanger, 1992.
- **BOSFELD, Katharina :** L'utilisation d'outils informatique en traduction Littéraire : Des aides et non substituts - TURJUMAN - n° 02 - université Abdemalek Essaâdi - Ecole Supérieur Roi Fahd de traduction - Tanger 1996.
- **HOMEIDAN, Abdullah :**Machine translation -Journal of king Saud university vol 10, 1998.
- **ISER, Wolfgang**: La fiction en effet, éléments pour un modèle historico fonctionnel des textes littéraires. In Poétique : n° 39, France, Septembre 1979.
- **RICARDOU, Jean**: Pour une lecture rétrospective, Revue des sciences humaines, n° 177, Lille, 1980.
- **WILLIAMS, C.B** , Biometrica, vol 43, 1956.

3.المعاجم الأجنبية :

- **Bloch Oscar, Walther Von Wartbung** : Dictionnaire étymologique, P.U.F : orig 1932, Paris 1989.
- **Encyclopédie Universalis** CORTES ELASTI CITE, vol 5. « Cybernétique et art ».
- **Encyclopédie Universalis** : Article: Philosophie de l'existence, la découverte de l'existence.
- **Richelet**, Dictionnaire Française, Genève, 1680.

4. المواقع الإلكترونية:

- Annie Cohen sonal: Sartre (1905-1980)(Biographie) Gallimard, 1985.(récupérée de http://fr.wikipedia.org\wiki\le Mur dernière modification de la page le 26 Juin 2006.
- Dictionnaire International des termes littéraires : « http : // fr. Wikipedia. Org / Wiki / statistique ».
- http://www.alalettre.com/sartre-bio.php.
- www.ac-strasbourg.fr/pedago/lettres/sartrebio-htm.